

السلسلة الأولى : سير الآل والأصحاب (١١)

الدُّر الثمين من سيرة السيدة عائشة أُم المؤمنين رضي الله عنها

مختصراً من كتاب السيد سليمان الندوي

« سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها »

اختصره

مركز البحوث والدراسات بالمبرة

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

٢٣٩ الندوي، السيد سليمان

الدر الثمين من سيرة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها / السيد سليمان الندوي.-ط١-

الكويت : مبرة الآل والأصحاب، ٢٠٠٩.

١٣٠ ص ؛ ٢٤ سم. – (سيرة الآل والأصحاب ؛ ١١).

١- السيرة النبوية ٢- زوجات النبي ٣- أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

أ. العنواب ب. السلسلة

ردمك: ٢ – ٠ – ٩٥٥ – ٩٩٩٠٦ – ٩٧٨

رقم الإيداع : ٣٣٠ / ٢٠٠٩

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ / ٢٠١٠م
مبرة الآل والأصحاب

هاتف: ٢٢٥٦٠٢٠٣ – ٢٢٥٥٢٣٤٠ فاكس: ٢٢٥٦٠٣٤٦
ص. ب: ١٢٤٢١ الشامية الرمز البريدي ٧١٦٥٥ الكويت
E-mail: almabarrh@gmail.com
www.almabarrah.net


بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

الصفحة

المقدمة

الحمد الله وحده والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه ومن اقتدى بهديهم إلى يوم الدين.

أما بعد ، ،

فقد دأبت مبرتكم «مبرة الآل والأصحاب» على نشر تراث آل البيت والصحابة سواء كان بتأليفٍ منها أو باعتماد تآليف من خارجها ، وقد ارتأينا في هذا الإصدار أن يكون من جهد رجل من آل البيت النبوي وهو «السيد سليمان الندوي» من علماء الهند رحمه الله ليحدثنا عن أم المؤمنين وزوجة سيد المرسلين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها .

وقد انتخبنا من كتابه سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها هذه المادة الموجزة مع بعض الإضافات فيما يحتاج إلى إضافة ، فكان الكتاب مبنياً من تمهيد وسبعة فصول عسى الله أن ينفع بها في الدنيا والآخرة.

مركز البحوث والدراسات بالمبرة

تمهيد

الاسم والكنية والنسب:

كان اسمها الذي عُرفت به عائشة[١]، ولقبها الصّدِّيقة[٢]، وكانت تخاطب بأم المؤمنين وتكنى بأم عبد الله، وأحياناً كانت تلقب بالحميراء[٣]، وكثيراً ما ناداها النبي ﷺ بـ «بنت الصِّديق»[٤].

---

(١) عائشة: اسمها مشتق من العيش. راجع في هذا الصدد لسان العرب: ابن منظور، مادة عيش ج ٣٢١/٦. دار صادر، بيروت ط١.

(٢) ذُكر هذا اللفظ في كثير من كتب التراجم والأحاديث، فقد ورد في مسند أحمد عن مسروق: حدثتني الصّدِّيقة بنت الصدِّيق رقم ٢٦٠٨٦.

(٣) فالحمراء في لغة أهل الحجاز هي البيضاء الشقراء ومحمرة البشرة وهذا نادر فيهن، راجع: لسان العرب ٢٠٨/٤، دار صادر، بيروت ط١.

والحميراء لغة: البيضاء الجميلة، هذا ولم يثبت في لقبها بالحميراء شيء عند المحدثين، كما نصّ عليه علماء الحديث في كتب الموضوعات عند كلامهم على قوله ﷺ: «خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء» ولم يصح حديث في لفظ الحميراء إلا حديث «دخل الحبشة المسجد يلعبون فقال لي يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم»، الحديث رواه النسائي في الكبرى، كتاب عِشرة النساء(٨٩٥١) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٤٤/٢): إسناده صحيح، ولم أر في حديثٍ صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا.

وقال الزركشي في الإجابة ص (١١٥): «وسألت شيخنا الحافظ عماد الدين ابن كثير عن ذلك فقال: كان شيخنا حافظ الدنيا ابن الحجاج المزي يقول: كل حديث فيه ذكر الحميراء باطل إلا حديثاً ذكر الحميراء في الصوم في سنن النسائي، قلت: وحديث آخر في النسائي ثم ذكر حديث السنن الكبرى، وقال: صحيح الإسناد».

قلت: حديث «خذوا شطر دينكم....» أورده الملا علي القاري في «المصنوع في معرفة الموضوع» برقم ١، ٩٨/١٢١ بتحقيق الشيخ أبي غدة، ط: مكتبة الرشد الرياض ١٤٠٤هـ والعجلوني في كشف الخفاء برقم ١١٩٨، ٤٩٩/١، وابن كثير في تحفة الطالب ١٦٥/١، ط: دار حراء مكة المكرمة ١٤٠٦هـ.

وحديث «يا حميراء لا تأكلي الطين ....» أورده العجلوني في كشف الخفاء ٤٥٠/١ ط: مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ، وابن قيم الجوزية في المنار المنيف ٦٠/١، وورد في أحاديث أخر موضوعات أو واهية فراجعها في مظانها !.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب التوقي على العمل برقم ٤١٩٨ وحسنه الألباني، والترمذي في سننه كتاب التفسير برقم ٣١٧٥ وصححه الألباني، وأحمد في مسنده ١٥٩/٦ برقم ٢٥٣٠٢ و ٢٠٥/٦ برقم ٢٥٧٤٦، وأبو بكر الحميدي في مسنده ١٣٢/١ برقم ٢٧٤ط: دار الكتب العلمية بيروت بتحقيق =

كنية السيدة عائشة رضي الله عنها:

كما هو معروف فإن العرب يعدّون التكني من علامات الشرف، ورمزاً للفضل والافتخار، وعائشة رضي الله عنها لم تكن لها ذرية ولم تلد ولداً، ومع ذلك فلم يصبها حزن أو تأسف على ذلك، فلم تشتكِ طول حياتها، وكان من عادة أشراف العرب أنهم كانوا يكتنون بأسماء أولادهم، فلا يناديهم أحد بأسمائهم الأصلية، بل كانوا يخاطبون بكناهم، فقالت عائشة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم: كل صواحبي لهن كنى، قال: «فاكتني بابنك عبد الله، يعني ابن أختها، فكانت تكنى بأم عبد الله»[1] وقد أشكلت هذه الكنية على ابن الأعرابي، فروى أنها أسقطت ولداً سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله، فكانت لهذا تكنى بأم عبد الله[2] ولكن هذه الرواية واهية، في غاية الضعف سنداً، والصحيح الثابت الذي نصت عليه الأحاديث أنها لم تلد[3].

والمراد بعبد الله هو ابن أختها عبد الله بن الزبير أول مولود في الإسلام بعد الهجرة، وكانت اليهود تقول: قد أخذناهم فلا يولد لهم ولد ذكر، فكبّر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وُلد عبد الله، ولما ولد أخذه الرسول صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره وأتى بتمرة فمصَّها ثم مضغها ثم وضعها في فيه فحنّكه بها، فكان أول شيء دخل بطنه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم[4]، وقد تربى في كنف عائشة رضي الله عنها، وكانت تحبه حباً شديداً، وهو

= الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، وأبو يعلى في مسنده ٦/٨ برقم ٤٥٠٧ ط: دار المأمون للتراث دمشق ١٤٠٤ هـ ت: حسين سليم أسد، والبيهقي في شعب الإيمان ٤٧٧/١ برقم ٧٦٢ط: دار الكتب العلمية، بيروت١٤١٠هـ.

(١) سنن أبي داود كتاب الأدب برقم ٤٩٧٠.

(٢) شرح الزرقاني على المواهب ٢٦٩/٣.

(٣) أخرج الإمام أحمد أن عائشة رضي الله عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله كل نسائك لها كنية غيري، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتني أنت أم عبد الله، فكان يقال لها أم عبد الله حتى ماتت ولم تلد قط. «١٥٦/٦ برقم ٢٥٢٢٢».

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٦٣٢/٣ رقم ٦٣٣٠.

كذلك يحبّها أكثر من أمّه، كما أن عائشة ﵂ كانت تربي أيتاماً آخرين في حضنها وتحت رعايتها.

روى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أنه قال: كانت عائشة تليني وأخاً لي يتيمين في حجرها، فكانت تخرج من أموالنا الزكاة[١]. وقصة تربيتها لبنت أنصارية وتزويجها مذكورة في كتب الأحاديث، تقول ﵂: كانت في حجري جارية من الأنصار فزوجتها، قالت: فدخل عليها رسول الله ﷺ يوم عرسها فلم يسمع لعباً فقال: «يا عائشة هذا الحي من الأنصار يحبّون كذا وكذا»[٢].

وقد ظفر جماعة من الأفذاذ بالتخرج من مدرسة أم المؤمنين، فربتهم في حجرها وعلمتهم مما علمها الله ورسوله، فخرجت جيلاً من حفظة الإسلام وعلماءه منهم: أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق[٣]، وعروة بن الزبير[٤]، وعمرة بنت عبدالرحمن الأنصارية[٥]، وعائشة بنت طلحة[٦]، ومن التابعين القاسم بن محمد ومسروق وغيرهم كثير جداً[٧].

نسبها من أبيها:

عائشة بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة بن عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن فهر بن مالك.

---

(١) موطأ الإمام مالك ٢٥١/١ رقم ٥٨٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٦٩/٦ رقم ٢٦٣٥٦ وابن حبان في صحيحه ١٨٥/١٣ رقم ٥٨٧٥، وأورده الهيثمي في موارد الظمآن ٤٩٤/١ رقم ٢٠١٦ والطبراني في الأوسط ٣٥٢/٥ رقم ٥٥٢٧. وصححه الشيخ شعيب.

(٣) ابن الأثير : أسد الغابة.

(٤) ابن حجر التهذيب ١٨٠/٢٢.

(٥) صحيح مسلم ٥٥٧/١ رقم ٨١٣.

(٦) ابن حجر الإصابة في تمييز الصحابة ٢٠/٨.

(٧) انظر السابق .

كان اسم والدها عبد الله، وكنيته أبا بكر، وقد اشتهر بلقب الصَّدَّيق، وأمها أم رومان.

نسبها من أمها:

أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن وهبان بن حارث بن غنم بن مالك بن كنانة.

ويلتقي نسبها مع نسب رسول الله ﷺ في الجدّ السابع، ومن قِبل الأم في الجد الحادي عشر أو الثاني عشر.

وقد توفّي أبوها أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه في سنة ١٣ هـ، واختلفوا في سنة وفاة أم رومان فقيل: إنها توفيت في السنة الخامسة أو السادسة من الهجرة[١]، في حياة النبي ﷺ.

وهذا لا يصح، فقد أثبتت الروايات الصحيحة أنها كانت على قيد الحياة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، حيث ذكر اسمها في جملة الأحاديث الواردة في حادثة الإفك، كما صحّ أنها كانت حية تُرزق في السنة التاسعة من الهجرة، العام الذي وقع فيه حادث التخيير[٢].

وأورد الإمام البخاري في صحيحه رواية مسروق عنها بإسناد متصل[٣]، كما ذكرها في التاريخ الصغير ممن توفوا في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، واعترض على القول[٤]

(١) انظر: أسد الغابة للإمام ابن الأثير الجزري ٥/٥٨٣ ط: المطبعة الإسلامية بطهران مصوّرة من طبعة مصر ١٢٨٥هـ. وقال ابن سعد في الطبقات الكبرى: «وتوفيت في عهد النبي ﷺ بالمدينة في ذي الحجة سنة ست من الهجرة» (٨/٢٧٦، ط: دار صادر بيروت). وانظر: الإصابة (٨/٢٠٧).

(٢) انظر واقعة التخيير في صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب برقم ٢٤٦٨ وكتاب تفسير القرآن رقم ٤٧٨٦، وصحيح الإمام مسلم كتاب الطلاق رقم ١٤٧٥، وسنن الترمذي كتاب التفسير رقم ٣٢٠٤.

(٣) أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن مسروق عن أم رومان أمّ عائشة أنها قالت: «لما رميت عائشة خرّت مغشياً عليها» كتاب تفسير (سورة النور) رقم ٤٧٥١ وفي كتاب أحاديث الأنبياء رقم ٣٣٨٨، وكتاب المغازي برقم ٤١٤٣، والإمام أحمد في مسنده ٦/٣٦٧ برقم ٢٧١١٥، وابن حِبّان في صحيحه ١٦/٢٢ رقم ٧١٠٣، والطبراني في الكبير ٢٣/١٢٢ ذكر حديث الإفك.

(٤) قال البخاري: وروى علي بن زيد عن القاسم قال: ماتت أم رومان زمن النبي ﷺ، وفيه نظر، وحديث مسروق أسند(انظر: التاريخ الصغير ١/٣٨).

الأول، وأيده الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله، وأثبت ذلك بدلائل مقنعة ودراسة تحقيقية وافية في كتابه «تهذيب التهذيب»[١] وانتهى منها إلى أن الصواب هو ما قاله البخاري.

الولادة:

كانت أم رومان قبل بناء الصديق رضي الله عنه بها زوجاً لصاحبه في الجاهلية عبد الله ابن الحارث الأزدي، فلما توفي عبد الله تزوجها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وولدت له اثنين: عبد الرحمن وعائشة رضي الله عنها. هذا ولم ترو لنا كتب السير والتراجم تاريخ ولادة عائشة رضي الله عنها بالضبط، إلا أن بعض مؤلفي السير والتاريخ نقلوا عن ابن سعد قوله في الطبقات[٢]: إن ولادتها كانت في بداية السنة الرابعة من النبوّة، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة من النبوّة في شوال وهي بنت ست سنين، وهذا لا يصحّ. لأنه لو قُدر مولدها في بداية السنة الرابعة من النبوة للزم أن يكون عمرها في السنة العاشرة سبع سنوات وليس ست سنوات.

والواقع أن هناك عدة أمور ثابتة في موضوع سنّها رضي الله عنها، وهي:

١- أنها تزوجت قبل الهجرة بثلاث سنوات، وهي بنت ست سنين.

٢- رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرس بها في شوّال، في السنة الأولى من الهجرة وهي بنت تسع سنين.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني بعد ذكر اسم أم رومان ونسبها: قيل: إنها ماتت سنة أربع أو خمس.... وقال الواقدي والزبير بن بكار: توفيت في ذي الحجة سنة ست، روى البخاري في صحيحه عن مسروق حدثتني أم رومان فذكر طرفاً من الحديث، قال الخطيب: هذا حديث غريب... ومسروق لم يدرك أم رومان، لأنها توفيت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان مسروق يرسل رواية هذا الحديث عنها، قال: وأخرج البخاري هذا الحديث لما رأى فيه عن مسروق..... ولم يظهر له علة، قلت: «القائل هو الحافظ ابن حجر»: قد صرح البخاري بأن قول من قال: إنها توفيت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وهمٌ، وإن قول مسروق «حدثتني أم رومان» هو الصحيح.كما يدل على ذلك حديث التخيير، والتخيير كان في سنة تسع....، انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر باختصار وتلخيص ٩٥/١٢ – ٤٩٤، ط: دار الفكر بيروت ١٤٠٤هـ.

(٢) انظر: الطبقات (٧٩/٨).

٣- أن الرسول ﷺ توفّي عنها في ربيع الأول، في السنة الحادية عشرة، وهي بنت ثماني عشرة سنة.

وعلى هذا وفي ضوء هذه الحقائق فيكون أصح تاريخ لولادتها هو شهر شوّال السنة التاسعة قبل الهجرة، الموافق يوليو «تموز» عام ٦١٤ م، وهو نهاية السنة الخامسة من البعثة.

وهناك أمر مهم يجب الإشارة إليه قبل الدخول في الوقائع التاريخية القادمة وهو: أن نَعلم أن النبي ﷺ قد قضى في مكة ثلاثة عشر عاماً، وفي المدينة المنوّرة عشرة أعوام من حياته النبوية، وبمولد عائشة يكون قد مضى على البعثة النبوية أربعة أعوام، ودخلت في السنة الخامسة. هذا ولم تبلغ أسرة من الأسر المسلمة ما بلغته أسرة أبي بكر الصديق في جهادها وتضحيتها في سبيل نشر دعوة الإسلام.

فكان منزله هو ذلك المكان المبارك الذي يحمل في طيّاته أسمى معاني الشرف والسعادة والعزة والوقار، حيث سطع في هذا البيت المبارك نور الإسلام، وبالتالي فعائشة رضي الله عنها من سعيدات الحظ، اللاتي لم يقرع أذنيها صوت من أصوات الشرك أو الكفر.

تقول رضي الله عنها: «لم أعقل أبويّ إلا وهما يدينان الدين»[1]. وقد أرضعتها زوجة وائل أبي القعيس، فكان أخو وائل أفلح – عمّها من الرضاعة – يأتي أحياناً لزيارتها فتأذن له عائشة بإذن من الرسول ﷺ، وتقول رضي الله عنها: «إن أفلح أخا أبي القعيس جاء يستأذن عليها، وهو عمها من الرضاعة، بعد أن أُنزل الحجاب، قالت: فأبيت أن آذن له، فلما جاء

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة برقم ٤٧٦ وكتاب الحوالة برقم ٢٢٩٨، وكتاب المناقب برقم ٣٩٠٦ وكتاب الأدب برقم ٦٠٧٩، والإمام أحمد في مسنده ١٩٨/٦ برقم ٢٥٦٦٧.

رسول الله ﷺ أخبرتُه بالذي صنعتُ، فأمرني أن آذن له»[١] كما أن أخاها من الرضاعة أيضاً كان يزورها في بعض الأحيان[٢].

الطفولة:

إنّ العباقرة تبدو معالم عبقريتهم منذ نعومة أظفارهم وتظهر جلية في كل ما يصدر منهم من الأقوال والأفعال، وتتلمع آثار رفعتهم وعلامات سعادتهم على نواصيهم، تُنبئ عن المستقبل الباهر والرائع لهم ـ وتوحي بأنهم يصنعون العظام.

وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت من هؤلاء العباقرة، فقد نشأت في بيت كان يزوره رسول الله ﷺ يومياً، وفي بيتٍ انطلقت منه الهجرة النبوية التي غيّرت مسار التاريخ بلا شك، وكانت ترى من أبويها الصلاة وقراءة القرآن والأحداث اليومية للدين الإسلامي والنبي الكريم مما يصقل شخصيتها.

جاء عن عائشة رضي الله عنها «لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيتفق عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن»[٣].

وقالت عائشة: «فبينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداءً له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي ﷺ لأبي بكر: أخرج من عندك، فقال أبو بكر:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح برقم ٥١٠٣، ومسلم في صحيحه كتاب الرضاع برقم ١٤٤٥، والإمام أحمد في مسنده ١٧٧/٦ برقم ٢٥٤٨٢، والإمام مالك في الموطأ كتاب الرضاع برقم ١٢٧٩، والدارمي في سننه كتاب النكاح برقم ٢٢٤٨.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الحيض برقم ٣٢٠، والبخاري في صحيحه كتاب الغسل برقم ٢٥١، والنسائي في سننه كتاب الطهارة برقم ٢٢٧، وانظر الفتح ٣٩٦/١ في ذكر الخلاف في تعيينه.

(٣) البخاري: كتاب الصلاة، باب المسجد يكون في الطريق برقم (٤٧٦).

إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، قال: فإني قد أذن لي في الخروج، فقال أبو بكر الصحابة(*): بأبي أنت يا رسول الله؟، قال رسول الله ﷺ: نعم، قال أبو بكر فخذ – بأبي أنت يا رسول الله – إحدى راحلتي هاتين، قال ﷺ: بالثمن، قالت عائشة: فجهزناهما أحسن الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين، قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور فقمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله ابن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمراً يكتادان[1] به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما[2].

فسيما الرفعة وعلوّ الدرجة والسعادة كان يلوح منذ صباها في سائر أعمالها وحركاتها، لكن كما هو معروف فإن الطفل في فطرته وطبيعته، مهما بلغ أوج السعادة وقمة الشرف، فهو يحب اللعب نظراً لسنّ طفولته. وعائشة رضي الله عنها كذلك كانت تحب اللعب كثيراً، فكانت جواري الحيّ تجتمع عندها وتلعب معها، إلا أنها رغم هذه الطفولة وصغر السن لا يفوتها أن تراعي أدب النبي ﷺ في كل لحظة، وغالباً ما يحدث أن تكون ملهوفة على لُعبها ومعها صواحبها، لكن الرسول الحبيب ﷺ الذي كان حنوناً على الأطفال، مُحباً لهم، رؤوفاً بهم، وشفيقاً عليهم، يأمرهن أن يلعبن معها.

وتقول عائشة إنها كانت تلعب بالبنات عند رسول الله ﷺ، قالت: «وكانت تأتيني صواحبي، فكن ينقمعن من رسول الله ﷺ، فكان رسول الله ﷺ يُسَرِّبُهُنّ[3] إليّ»[4].

(*) يعني: أريد الصحبة. (١) يكتادان: يُمَكُر بهما.

(٢) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي برقم (٣٦٩٢).

وبهذا تعرف أن نشأة عائشة رضي الله عنها في بيت تحمّل مشاق الدعوة والأحداث الجسام له أثر في شخصيتها وفهمها للإسلام وللحياة.

(٣) يسربهن: يرسلهن.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأدب برقم ٦١٣٠ وفيه «يتقمعّن» بدل «ينقمعن». أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب في فضل عائشة برقم ٢٤٤٠، واللفظ له.

ورأى بين البنات فرساً له جناحان من رقاع، فسألها: ما هذا يا عائشة؟ فقالت: فرس، فقال: وما هذا الذي عليه؛ قالت: جناحان: قال: فرس له جناحان!!؟ فردت عليه مرتجلة: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟! فضحك الرسول ﷺ[1] على هذا الرد الارتجالي المقنع، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على قوتها الطبيعية الفائقة في الإسراع في الجواب، والذكاء المتوقد، وسرعة إدراك الأمور.

إن طبيعة الأطفال في كل عصر تكون واحدة حيث إنهم لا يبالون بشيء، ولا يُهمهُّم أمر، ولا تلفت نظرهم قضية حتى سن السابعة والثامنة، إلا أن السيدة عائشة رضي الله عنها قد اختلفت طبيعتها عن الآخرين في هذا الشأن، فنرى أنها كانت تحفظ كل ما حدث أيام طفولتها، وتُخزنه في ذاكرتها، وتفقه من أحاديثه ﷺ ما تيسر لها أن تفقه، ثم ترويه، وتستخرج منه الحكم والمصالح من واقعات الطفولة الجزئية، حتى لو قرعت أذنيها آية من كتاب الله أثناء لعبها فإنها كانت تذكرها.

تقول رضي الله عنها: لقد أُنزل على محمد ﷺ بمكة وإني لجارية ألعب ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾[2][3].

وعندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة لم تكن عائشة تجاوزت الثامنة من عمرها لكنها كانت تفهم وتعي وتحسن الحفظ لأسرار وقائع الهجرة النبوية والجزئيات المتعلقة بها، ولم يدانها أحد من الصحابة في حفظ هذه الوقائع بالترتيب المسلسل كما حفظته هي[4].

---

(١) رواه أبو داود في سننه باب في اللعب بالبنات برقم ٤٩٣٢ وفيه أن هذه الواقعة كانت عند رجوع النبي ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر، وتبوك كانت في السنة التاسعة وخيبر كانت في السابعة من الهجرة، وعلى هذا فيكون سنها في ذاك الوقت ثلاث عشرة سنة أو خمس عشرة سنة. كما أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢١٩/١٠. الحديث صححه الشيخ الألباني.

(٢) سورة القمر الآية «٤٦».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه تفسير سورة القمر برقم ٤٨٧٦، وبرقم ٤٩٩٣ باب تأليف القرآن.

(٤) يراجع أبواب الهجرة في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما.



الفصل الأول

الزواج الميمون

الزواج الميمون

كانت السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها أولى زوجات النبي ﷺ وأحبهن إليه، وقد بنى بها الرسول ﷺ وهو في نحو الخامسة والعشرين، وهي في نحو الأربعين، وقد سعدت بالبقاء معه ﷺ زهاء خمس وعشرين سنة إلى أن أوفت على الخامسة والستين فاستأثرت بها رحمةُ الله تعالى في شهر رمضان في السنة العاشرة بعد البعثة، أي قبل الهجرة بثلاث سنوات، وكان سن رسول الله ﷺ يومئذ خمسين سنة.

لقد كانت السيدة خديجة رضي الله عنها أول من آمن به ﷺ وأول مَنْ أسلم على وجه الأرض، وكانت نعم القرين له في السراء والضراء، وقد أغدقت عليه من حنان الأمومة ما فاته في بواكير الطفولة، وأدركه عطفها وهو يعالج من نوازع الدعوة النبوية ثورة مقيمة مقعدة في سريرة النفس، لا تزال بين الجلاء والغموض وبين الإقدام والإحجام. ولما توفيت رضي الله عنها، لم يُعرف عنه ﷺ أنه حزن على أحدٍ قط أشد من حزنه عليها، ولا أطال الذكرى لأحد قط بعد وفاته كما أطال ذكراها، حتى إنه قد صعبت عليه الحياة من شدة ما أصابته من هموم الوحدة والتفرد، فشق ذلك على صحابته المخلصين رضي الله عنهم وآلمهم ما لحظوه من حزن النبي ﷺ على زوجه العزيزة عليه، فجاءت خولة بنت حكيم رضي الله عنها — امرأة عثمان بن مظعون[1]– إلى رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله ألا تتزوج؟ قال مَن؟ قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً قال: ومَن البكر ومَن الثيب؟ قالت: أما الثيب فهي سودة بنت زمعة، وأما البكر فهي بنت أحب الخلق إليك، عائشة بنت أبي[2] بكر الصديق رضي الله عنه.

---

(١) من أجلاّء الصحابة توفي سنة ٢ هـ.

(٢) من أشنع الجهالات وأقبح الضلالات التي وقع فريستها المحققون والباحثون المستشرقون والنصارى في تكني الصديق بأبي بكر، قولهم: «إن كلمة البكر تطلق على العذراء في اللغة العربية، وكانت عائشة هي البكر الوحيدة التي تزوجها الرسول ﷺ، ولذلك تكنى والدها بأبي بكر» ولا غرابة إذا لم يطّلع الأعداء على هذه الحقيقة، ولكن مما يبعث على القلق والأسف الشديدين أن بعض إخواننا المسلمين كذلك جهلوا هذا الواقع، فهذا الكاتب أمير علي وقع في الخطأ نفسه في كتاب حياة محمد الباب الرابع عشر، وقلد المستشرقين في ذكر سبب تكنّي الصديق بأبي بكر، مع =

قال «فاذكريها لي» فأتت بيت أبي بكر وذكرت ذلك له، – وكان الناس في الجاهلية لا يتزوجون بنات إخوانهم بالتآخي، ويظنون أن المؤاخاة تمنع قرابة المصاهرة مثل بنات الأشقاء – فقال لها أبو بكر: وهل تصلح له؟ إنما هي ابنة أخيه؟ فرجعت خولة إلى رسول الله ﷺ وذكرت له ذلك، فقال: «ارجعي فقولي له: إنه أخي في الدين، وهي لي حلال»[1] فلما علم ذلك أبو بكر قَبِل.

هذا وكانت عائشة مخطوبة قبل ذلك لجبير بن مطعم بن عدي، فتحرَّج أبو بكر من نقض خطبته قبل مراجعته فيما ينويه، فلقي أبا الفتى، فأقبل الأب على امرأته يسألها ما تقولين؟ – وكانت أسرة جبير لم تعتنق الإسلام ذاك الحين – فقالت: يا ابن أبي قحافة لعلك مصب صاحبنا – مدخله في دينك الذي أنت عليه – إن تزوج إليك![2].

وعائشة رضي الله عنها كانت صبية في سنها الباكر، وقد تصدر منها بعض الأعمال والحركات التي لا ترضى بها أمها، فتعاقبها عليها، ويرى ذلك النبي ﷺ فيحزنه، فيقول لأمها «يا أم رومان استوصي بعائشة خيراً واحفظيني فيها»[3].

= أن التكني هو من علامات الشرف ورمز الافتخار لدى العرب، ومخاطبتهم بالكنى تدل على توقيرهم والاحترام لهم، وأشراف القبائل وساداتهم لا يعرفون إلا بالكنى، فهذا أبو سفيان، وأبو جهل، وأبو لهب، كل منا يعرفهم بكناهم لكن كم منا يعرف أسماءهم الحقيقية؟ وهكذا كان شأن أبي بكر رضي الله عنه، ثم إنه لم يتكن بهذه الكنية بعد ولادة عائشة، بل هذه كنيته حتى قبل مجيء الإسلام.

ثم إن كلمة البَكر بفتح الباء لا تطلق على العذراء، وإنما البكر «بكسر الباء» هي التي تطلق على العذراء وبَكر علم من أشهر الأعلام العربية أمثال زيد وعمرو، وكانت بنو بكر بن وائل من القبائل المشهورة في العرب، وبالتالي فلا علاقة له بكلمة بِكر.

(١) أخرجه الإمام البخاري مختصراً في كتاب النكاح ٥٠٨١ باب تزويج الصغار من الكبار، والإمام أحمد في مسنده ٦/٢١٠ برقم ٢٥٨١٠، ط: مؤسسة قرطبة مصر.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/٢١٠ برقم ٢٥٨١٠.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٦ برقم ٦٧١٦.

وذات مرة دخل النبي ﷺ إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه، فوجد عائشة رضي الله عنها متسترة بباب أبي بكر تبكي بكاءً حزيناً، فسألها، فشكت أمها، وذكرت أنها تولع فدمعت عينا رسول الله ﷺ، فدخل على أم رومان فقال: «يا أم رومان ألم أوصك بعائشة أن تحفظيني فيها؟ فقالت: يا رسول الله ﷺ إنها بلّغت الصديق عنّا، وأغضبته علينا، فقال النبي ﷺ: وإن فعلت»[1].

وقد ثبت في الأحاديث أن النبي ﷺ رأى في المنام أن ملكاً يقدم إليه شيئاً في سَرَقَةٍ[2] من حرير، فسأله الرسول ﷺ فإذا هي عائشة.

روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «أُريتُك قبل أن أتزوجك مرتين، رأيت المَلَكَ يحملك في سَرَقَةٍ من حرير، فقلت له: اكشف، فكشف فإذا هي أنت، فقلت: إن يكن هذا من عند الله يمضه، ثم رأيتك يحملك في سرقة من حرير فقلت: اكشف، فكشف فإذا هي أنت، فقلت: إن يك هذا من عند الله يمضه»[3].

ونكح ﷺ عائشة وهي بنت ست سنين[4] وكان من أهداف هذا الزواج المبكر هو إحكام العلاقة وتوطيد الصلة وتوثيقها بين صاحبه أبي بكر، وإذا كان الجو الحار الذي يعيشه العرب في البلاد العربية يمهد الطريق إلى النمو غير العادي ويساعد في النشأة السريعة في النساء في جانب، فهناك جانب آخر وهو أن الشخصيات البارزة ذات الأهمية والمكانة العالية كما توجد لديهم مواهب خاصة واستعدادات غير عادية لتطوير وتنمية القوى الذهنية والفكرية، كذلك يتوافر فيهم استعداد كامل للنشأة والنضج المبكر من حيث الجسم، وعلى كلٍّ فإن موافقته ﷺ على زواجه من عائشة رضي الله عنها في هذه السن

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك رقم (٦٧١٦).

(٢) السَّرَقة: الحرير الأبيض.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التعبير برقم ٧٠١٢، وكتاب المناقب برقم ٣٨٩٥، وكتاب النكاح برقم ٥٠٧٨، والإمام مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٤٣٨، وأحمد في مسنده ٤١/٦ برقم ٢٤١٨٨ و ١٢٨/٦ برقم ٢٥٠١٥.

(٤) انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب رقم الحديث ٣٨٩٤، صحيح الإمام مسلم، كتاب النكاح برقم ١٤٢٢، سنن النسائي، كتاب النكاح برقم ٣٣٧٨.

المبكرة فيها دليل صريح وقاطع على ما كانت تتمتع به عائشة منذ صباها من غاية الذكاء المتوقد، وجودة القريحة، وقوة التفكير العالية، والبديهة الواعية، وبراعة في الاستنتاج والاستنباط.

وها هي عائشة تروي لنا قصة زواجها رضي الله عنها من رسول الله ﷺ قالت: «تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين فقدِمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن خزرجٍ فوعكت فتمرَّق[1] شعري فوفى جُميمةً فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أُرجوحةٍ ومعي صواحب لي فصرخت بي فأتيتها لا أدري ما تريد بي فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأُنهج حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائرٍ، فأسلمتني إليهن، فأصلحن من شأني، فلم يرعبني إلا رسول الله ﷺ ضُحى فأسلمتني إليه، وأنا يومئذ بنت تسع سنين»[2].

هكذا تم حفل زفاف أم المؤمنين بكل تواضع وبأقصى درجات البساطة، ومما لا شك فيه أن فيه أسوة حسنة وقدوة طيبة لسائر البنات المسلمات، وفيه عبرة وعظة لأولئك الذين جعلوا الزواج في عصرنا الراهن من المشكلات، وأصبح رمزاً للإسراف والتبذير والإنفاق في اتباع الهوى وإرضاء الرغبات والشهوات، ومَعلماً للطقوس والتقاليد والعادات التي تعارض مبادئ الإسلام وديننا الحنيف.

أفلم يكن زواج الرسول ﷺ تكذيباً عملياً لما اختلقه الناس وابتدعوه في حفلات زواجهم؟ واسمعوا إلى قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «فما دريت أن رسول الله ﷺ تزوجني، حتى أخذتني أمي فحبستني في البيت عن الخروج، فوقع في نفسي أني تزوجت، فما سألتها حتى كانت أمي هي التي أخبرتني»[3].

---

(١) تمرق وتمزق أي انقطع.

(٢) صحيح البخاري كتاب المناقب برقم (٣٨٩٤) وصحيح مسلم كتاب النكاح برقم (١٤٢٢).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥٨/٨، المعجم الكبير للطبراني ٢٥/٢٣.

مهر السيدة عائشة رضي الله عنها :

يتبين من روايتي الإمام ابن سعد أن رسول الله ﷺ قد دفع إلى عائشة ثمن المهر بيتاً قيمته خمسون أو نحو خمسين[١]، وهذا لا يصح روايةً و لا درايةً، لأن المبلغ لا يمكن أن يُشترى به حتى بيت صغير، وجاء في رواية ابن إسحاق أن المهر كان أربعمائة درهم[٢].

وهناك رواية أخرى عند ابن سعد نفسه عن عائشة تقول:«كان صداق رسول الله ﷺ اثنتى عشرة أوقية ونشاً، فذلك خمسمائة درهم، قالت عائشة:«الأوقية أربعون، والنش عشرون»[٣].

وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت: كان صداقه لأزواجه ثنتي عشرة أوقية ونشاً، قالت: أتدري ما النش؟ قالت: نصف أوقية، فتلك خمسمئة درهم، فهذا صداق رسول الله ﷺ لأزواجه»[٤].كذا ثبت في مسند الإمام أحمد بن حنبل[٥].

هذا ولو قورن صداق عائشة بالمغالاة التي عمت في المهور في مجتمعنا اليوم لتبين لنا الفرق الشاسع بينهما، والأخطر من ذلك أن التقليل في المهور أصبح الآن رمزاً لإذلال وإهانة الأسر وتحقيرها، والحطّ من مكانتها الاجتماعية، ومن ثمَّ فالسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: هل توجد اليوم أسرة تفوق أسرة الصديق بل تدانيها في الفضل والشرف والسعادة والمكانة؟ وهل شهد العالم الإنساني اليوم بنتاً هي أرفع مكانة وأعلى شرفاً وأسمى منزلة من بنت الصديق؟ سيكون الجواب بالتأكيد النفي.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥٩/٨.

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية ٥٧/٦ ط: دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ، ت طه عبد الرؤوف سعد.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٦١/٨ ط: دار صادر، بيروت.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب الصداق برقم ١٤٢٦، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٥/٤ برقم ٦٧١٦ ط: دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١هـ، والدارمي في سننه، باب كم كانت مهور أزواج النبي ﷺ، برقم ٢١٩٩، وأبو داود في سننه باب الصداق، برقم ٢١٠٥، والنسائي في سننه، باب القسط في الأصدقة، برقم ٣٣٤٧.

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٩٣/٦ برقم ٢٤٦٧٠، ط مؤسسة، قرطبة، مصر.

التاريخ الذي تزوجت فيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :

اختلفت الأقوال في تعيين التاريخ الذي نكح فيه رسول الله ﷺ عائشة، فقال العلامة بدر الدين العيني:«تزوجها رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة بسنتين، وقيل: بثلاث، وقيل: بسنة ونصف أو نحوها في شوال، وهي بنت ست سنين، وقيل: سبع، وبنى بها في شوال أيضاً بعد وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة....»[١].

بينما تقول بعض الروايات إن رسول الله ﷺ تزوجها بعد وفاة خديجة رضي الله عنها بثلاث سنوات، ويقول أهل السير والتراجم إنها تزوجت في نفس العام الذي توفيت فيه خديجة رضي الله عنها.

وكان بإمكاننا أن نحدد تاريخ زواجها بتاريخ وفاة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، لكن تاريخ وفاتها أيضاً مختلف فيه بين العلماء، فمن قائل: إنها توفيت قبل الهجرة بخمس سنوات، ومن قائل قبل الهجرة بأربع سنوات، ومن قائل قبل الهجرة بثلاث سنوات، حتى عائشة رضي الله عنها نفسها روت لنا روايتين مختلفتين في هذا الصدد كما في صحيح الإمام البخاري ومسند الإمام أحمد ابن حنبل، فرواية تقول «ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها، قالت:«وتزوجني بعدها بثلاث سنين»[٢]. وأخرى تقول:«إنه تزوجها في نفس السنة»[٣]. والجمع بينهما بأن الأولى تعني أن خوَّل بها والثانية بمعنى العقد عليها، كما قال الإمام النووي، ونقله عنه في فتح الباري (١٣٦/٧).

هجرة النبي ﷺ إلى المدينة:

مكثت عائشة رضي الله عنها في بيت أمها بعد نكاحها حوالي ثلاث سنين، سنتان وثلاثة أشهر في مكة، وسبعة أشهر في المدينة المنورة بعد الهجرة.

ومعلوم تاريخياً أن المسلمين هاجروا من مكة مرتين، الهجرة الأولى كانت إلى بلاد الحبشة، والهجرة الثانية كانت إلى المدينة، وإن عائشة رضي الله عنها تابعت موضوع الهجرة

---

(١) عمدة القاري بشرح صحيح البخاري، للعلامة بدر الدين العيني ٤٥/١.

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب برقم ٣٨١٧، مسلم كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٤٣٥.

(٣) روه البخاري باب تزويج النبي ﷺ عائشة وقدومها المدينة بنائه بها برقم ٣٨٩٦.

وقصتها بكل دقة وبراعة، وها هي تحكي لنا قصة هجرة أبي بكر رضي الله عنه وما أصابه من الأذى في سبيل دينه، حتى خرج من مكة مهاجراً قِبَل الحبشة، تقول رضي الله عنها: «حتى إذا بلغ بَرْك الغِماد لقيه ابن الدَّغِنّة، وهو سيد القارة[1]، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبوبكر: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي، قال ابن الدَّغِنّة: فإن مثلك لا يَخْرُج ولا يُخْرَج، إنك تكسِب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتقري الضّيف وتُعين على نوائب الحق، فأنا لك جار ارجع.....فرجع وارتحل مع ابن الدَّغِنّة، فطاف الدَّغِنّة عشية في أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرج مثله ولا يُخرج... الحديث»[2]. ويحتمل أن تكون عائشة وأهلها كلهم كانوا مع أبي بكر في هذه الرحلة.

وأما الهجرة الثانية: فإنه لما اشتد الظلم على المسلمين في مكة، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وظلت المصائب والمشاق تزداد عليهم يوماً بعد يوم من قِبَل المشركين، وتعرّضوا لأقسى أنواع الأذى والاضطهاد نوى الرسول صلى الله عليه وسلم الهجرة إلى المدينة.

ولنسمع قصة هذه الهجرة من فم عائشة رضي الله عنها تقول: لم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طَرَفَيْ النهار بُكرة وعَشيَة، فبينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنّعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبوبكر: فداءٌ له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر..... فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أَخرج مَن عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك، بأبي أنت يا رسول الله، قال: فإني قد أُذن لي في الخروج، قالت عائشة: فجهزناهما «الراحلتين» أحثَّ الجهاز، وصنعنا لهما سُفرة في جِراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب.....»[3].

---

(١) القارة: قبيلة معروفة بجودة الرمي.

(٢) رواه البخاري، (٣٦٩٢) كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٤٧٠) كتاب اللباس، باب التقنع.

وهكذا هاجر النبي ﷺ ومعه أبو بكر رضي الله عنه إلى المدينة، وتركوا أهاليهم بين هؤلاء الأعداء، وحلّ الركاب النبوي المبارك بالمدينة في الثاني عشر من شهر ربيع الأول من العام الرابع عشر من البعثة.

ولما استقر النبي ﷺ بالمدينة أرسل كلاً من زيد بن حارثة وأبي رافع إلى مكة لكي يأتيا بأهله، وبعث أبو بكر معهما عبد الله بن أُرَيْقط الليثي، وكتب إلى ابنه عبد الله يأمره أن يحمل أهله أم رومان وعائشة وأسماء فخرج بهم عبد الله، وخرج زيد وأبو رافع بفاطمة وأم كلثوم وسودة وأم أيمن وأسامة، اصطحبوا جميعاً، حتى إذا كانوا في طريقهم إلى المدينة نفر بعير عائشة رضي الله عنها، فجعلت أمها تقول: وابنتاه، واعروساه، حتى أُدرك البعير وقد هبط، فقدموا المدينة، فنزلت عائشة مع عيال أبي بكر، ونزل آل رسول الله ﷺ وهو يومئذ يبني المسجد وأبياتاً حول المسجد فأنزل فيها أهله[1].

بناؤه ﷺ بأم المؤمنين عائشة:

نزلت عائشة رضي الله عنها مع أهلها في حي بني الحارث بن الخزرج[2] وأقامت هناك مع أمها ما يقارب سبعة أو ثمانية أشهر، وكانت المدينة المنورة أرضاً وبئة، فتأثر المهاجرون بمناخها هذا لما سكنوا فيها، فمرض بعضهم بالحمّى والسقم حتى أجهدهم ذلك، وأصيب أبو بكر رضي الله عنه بالحمّى الشديد أيضاً، فكانت عائشة تعوده و تستخبر حاله، تقول رضي الله عنها: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال، فدخلت عليهما، فقلت: يا أبتِ كيف تجدك؟ قالت: فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

---

(١) انظر: تفاصيل هذه القصة في: المستدرك على الصحيحين ٦/٤-٥ برقم ٦٧١٦، الطبقات الكبرى لابن سعد ٦٣/٢، المعجم الكبير للطبراني ٢٥/٢٣ برقم ٦٠، ومجمع الزوائد للهيثمي ٢٢٧/٩ ط: دار الريان للتراث القاهرة ١٤٠٧هـ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٥٢/٢، الاستيعاب ١٩٣٦/٤ ط: دار الجيل بيروت.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه باب تزويج النبي ﷺ عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها برقم ٣٨٩٤، وأبو عوانة في مسنده ٧٨/٣ برقم ٤٢٦٠ والدارمي في سننه باب في تزويج الصغار إذا زوجهن آباؤهن برقم ٢/٢١٢/٢٢٦١، والبيهقي في السنن الكبرى باب ما تقول النسوة للعروس برقم ١٣٦٢١، ١٤٨/٧، وأبو داود في السنن باب في الأرجوحة برقم ٤٩٣٧.

كُلُّ امـرئ مـصبـح ـ في أهـلـه   والـموت أدنـي مـن شـراك نـعـلـه

قالـت: فجئـت إلى رسـول الله ﷺ فأخبرتـه فقـال: «اللـهم حبِّـب إلينـا المدينـة كحبنـا مكـة، أو أشـدّ وصـحّحها، وبـارك لنـا ـ في صـاعها ومُـدّها، وانقـل حُمَّاهـا، فاجعلـها بالجحفة»[(١)].

ثـم تـأثرت عائشة ﵂ نفسها بهـذا المنـاخ الـذي لم تألفـه مـن قبـل فمرضـت، فكـان أبو بكر ﵁ يأتيها ويقبلها ويقـول: كيـف أنـت يـا بنيـة؟ وكـان المـرض شـديداً حتـى تمـرق شعرها، تقول ﵂ فقدمنا وهـي تحكـي لنا هذه القـصة «فقـدمنا المدينـة فوعكـت شـهراً فوفى شعري جميمة»[(٢)].

ولمـا شُـفيت أخـذت أمهـا تهيؤهـا للـزواج وتعالجهـا، ثـم قـال أبـوبكـر: يـا رسـول الله مـا يمنعـك أن تـبني بأهلـك؟ فقـال رسـول الله ﷺ: الـصداق، فأعطـاه أبـو بكـر اثنـتي عـشرة أوقية ونشاً، فبعث بها رسول الله ﷺ إلى عائشة[(٣)] وفي هـذا عـبرة وعظـة للـذين يتـساهلون في أداء المهور، مع أنه حق ثابت للمرأة، وألزم الله سـبحانه وتعـالى الـزوج أن يقدمـه لزوجتـه تعبيراً عن تقديره لها.

وهـا هـي تـصف لنـا بنفـسها قـصة زفافهـا وبنـاء الرسـول ﷺ بهـا، فتقـول: «تـزوجني رسول الله ﷺ لست سنين، وبنى بي وأنا بنت تسع سنين، قالـت: فقـدمنا المدينـة... فـأتتني أم رومـان وأنـا علـى أرجوحـة، ومعـي صـواحبي، فـصرخت بـي فأتيتهـا، ومـا أدري مـا تريـد بي، فـأخذت بيدي، فأوقفتني على البـاب، فقلت: هه، هه، حتـى ذهـب نفـسي، فـأدخلتني

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب برقم ٣٩٢٦، وكتـاب المـرض بـرقم ٥٦٥٤ وبـرقم ٥٦٧٧، والغمام مسلم في صحيحه كتاب الحج برقم ١٣٧٦، ومالك في الموطأ كتاب الجامع برقم ١٦٤٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب بـرقم ٣٨٩٤، ومـسلم في صـحيحه كتـاب النكـاح بـرقم ١٤٢٢ واللفظ له، وابن ماجه في سننه كتاب النكاح برقم ١٨٧٦.

فوفى شعري جميمة: وفّى أي كَمُلَ، جُمَيمة: تصغير جُمّة وهـو الـشعر النـازل للأذنـين، أي صـار إلى هذا الحد بعد أن كان ذهب بالمرض.

(٣) أخرجـه مفـصلاً الطبرانـي في الكـبير ٢٥/٢٣ بـرقم ٦٠ ط: مكتبـة العلـوم والحكـم، والإمـام ابـن عبد البر في الاستيعاب ١٩٣٧/٤، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٦٣/٨.

بيتاً، فإذا نسوة من الأنصار، فقلن: على الخير والبركة، وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن، فغسلن رأسي، وأصلحنني، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى، فأسلمنني إليه[١].

وهذه أسماء بنت يزيد إحدى صديقات عائشة رضي الله عنها تحكي لنا عمّا قُدّم إلى رسول الله ﷺ من أنواع القِري[٢] عند حفل الزفاف، تقول: كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ، قالت: فو الله ما وجدنا عنده قِرى إلا قدحاً من لبن، قالت: فشرب منه، ثم ناوله عائشة، فاستحيت الجارية، فقلنا: لا تردّي يد رسول الله ﷺ، خذي منه، فأخذته على حياء، فشربت منه، ثم قال: ناولي صواحبك، فقلنا: لا نشتهيه، فقال: لا تجمعن جوعاً وكذباً، قالت: فقلت يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه: لا أشتهيه، يعد ذلك كذباً؟ قال: إن الكذب يكتب كذباً، حتى تكتب الكذيبة كذيبة»[٣].

هذا وقد كان بناؤه ﷺ بها نهاراً في شوال السنة الأولى من الهجرة على أصح الأقوال، بينما قال العلامة بدر الدين العيني في عمدة القاري: «وبنى بها في شوال أيضاً بعد وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة.....»[٤].

وهذا لا يصح، لأنه يقتضي أن يكون عمرها عند بنائه ﷺ بها عشر سنين، مع أن كتب الأحاديث والتاريخ والسير مُجمعةٌ على أنها كانت بنت تسع سنين عند البناء.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المناقب برقم ٣٨٩٤، والإمام مسلم في صحيحه كتاب النكاح برقم ١٤٢٢، وأبو داود في سننه كتاب الأدب برقم ٤٩٣٣، وابن ماجه في سننه كتاب النكاح برقم ١٨٧٦، والدارمي في سننه كتاب النكاح برقم ٢٢٦١.

(٢) القِري: الضيافة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤٣٨/٦ برقم ٢٧٥١١ وفيه أسماء بنت عميس، ٤٥٨/٦ برقم ٢٧٦٣٢، وابن ماجه في سننه باب عرض الطعام برقم ٣٢٩٨، وأبو بكر القرشي في مكارم الأخلاق ٥٤/١ برقم ١٤٩، ط: مكتبة القرآن القاهرة. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٢/١ باب في ذم الكذب، و ٤ /٥٠ والمنذري في الترغيب والترهيب ٣٦٩/٣ برقم ٤٤٦٥.

(٤) عمدة القاري ٤٥/١.

أهم مميزات نكاحه ﷺ بأم المؤمنين عائشة وبنائه بها:

وهكذا اتضحت لنا صورة واقعية لحفل زفاف عائشة رضي الله عنها، وكيفية أداء صداقها وبنائه ﷺ بها، وكيف تم ذلك كله في غاية من السهولة والبساطة والتواضع دون أيِّ تكلّف أو تنعّم ولا إسراف ولا تبذير. ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ﴾[1].

ومن أهم المميزات التي تميز بها زواجها أنه قضى على كثير من الطقوس والتقاليد غير الإسلامية، والعادات غير الشرعية، التي قد رسخت جذورها في المجتمع العربي، كما أنه استأصل تلك الجذور وأبدل بها خير طريقة وأحسن منهاج يتمتع بالسهولة والسماحة واليسر، ومن هذه الطقوس والتقاليد التي غيَّرها هذا النكاح:

١- أن العرب ما كانوا يستبيحون الزواج مع ابنة الصَدِيق الأخ ويظنون أن الصحبة والمؤاخاة تبلغ مبلغ القرابة التي تمنع المصاهرة، وتلك خولة بنت حكيم لما أخبرت أبا بكر رضي الله عنه عن رغبة النبي ﷺ في زواجه من ابنته سألها أبو بكر مستغرباً: وهل تصلح له؟ لأنها بنت أخيه، فقضى النبي ﷺ على هذه النظرية، وقال: «هي حلال لي، وأنت أخ في الإسلام»[2].

٢- أن العرب ما كانوا يتزوجون في شهر شوّال في الزمن الأول، فقصد النبي ﷺ رفع هذا الوهم والتوهم عند الناس في كراهية الدخول بالنساء في شوال[3].

ولذلك كانت عائشة رضي الله عنها تحب أن تدخل النساء من أهلها وأحبتها في شوال، وتقول: «تزوجني رسول الله ﷺ في شوّال، وبنى بي في شوّال، فأي نساء رسول الله ﷺ كانت أحظى مني «وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساؤها في شوال»[4].

---

(١) سورة المطففين الآية «٢٦».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٥٨١٠) وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري(١١/ ٢٢٧) إسناده حسن.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/ ٦١ – ٦٠ ط: دار صادر بيروت.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه باب استحباب التزوج والتزويج في شوال، برقم ١٤٢٣، والدرامي في سننه باب بناء الرجل بأهله في شوال برقم ٢٢١١، والبيهقي في السنن الكبرى باب التزويج والبناء بالمرأة في شوال برقم ١٤٤٧٨، وابن ماجه في سننه متى يستحب البناء بالنساء برقم ١٩٩٠.



الفصل الثاني

عائشة رضي الله عنها

في مدرسة النبوة

عائشة رضي الله عنها في مدرسة النبوة

الدراسة وطلب العلم:

كانت البيئة العربية خالية من التعلم والدراسة، ولم يكن هناك أي رواج لطلب العلم في صنف الرجال، فما بالك بالنساء ؟.

ولما جاء الإسلام كان في قريش بضعة عشر شخصاً يعرفون القراءة والكتابة، من بينهم امرأة واحدة، وهي الشفاء بنت عبد الله العدوية[1].

إن تطوير فن القراءة والكتابة وترويجهما وإشاعتهما، وإيلاءهما اهتماماً كبيراً مع نشر دعوة الإسلام إنما يعتبر من أهم البركات الدنيوية التي أفاض بها الإسلام على الناس جميعاً، وهو الجميل العظيم والمنّ الكبير الذي أسداه الإسلام إلى البشرية جمعاء. وخير دليل على ذلك ما حدث يوم بدر، حيث أمر الرسول ﷺ الأسرى الذين لم يجدوا ما يفتدون به أنفسهم أن يعلّموا أولاد الأنصار الكتابة[2]، كما أن أصحاب الصُّفّة الذين بلغ عددهم حوالي مئة شخص كانوا يركزون على جانب القراءة والكتابة ويتعلمونها، وكانوا يتعلمون الدين والأحكام الشرعية.

أما بالنسبة لأزواج النبي ﷺ فكانت حفصة وأم سلمة هما اللتان تعرِفان القراءة والكتابة، وكانت حفصة قد تعلّمت ذلك من الشفاء العدوية[3].

---

(١) هي الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن عدي بن كعب القرشية العدوية، واسمها ليلى وغلب عليها الشفاء، أسلمت الشفاء قبل الهجرة فهي من المهاجرات الأول، وبايعت النبي ﷺ.
انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٧/٧٢٧، الاستيعاب لابن عبد البر، ٤/١٨٦٩.
فتوح البلدان للبلاذري ١/٤٥٨ ، ط: دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ هـ ت: رضوان محمد رضوان.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال «كان ناس من الأسارى يوم بدر» برقم ٢٦٢١، والبيهقي في السنن الكبرى ٦/١٢٤ برقم ١١٤٦٠ و ٦/٣٢٢ برقم ١٢٦٢، وأحمد في مسنده ١/٢٤٧ برقم ٢٢١٦، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/٩٦ باب الأجر على تعليم القرآن.

(٣) روى الإمام أبو داود في كتاب الطب، باب من جاء في الرقي برقم ٣٨٨٧، عن الشفاء بنت عبد الله قالت: «دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة، فقال لي: ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة» وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٩/٣٤٩، وابن أبي شيبة في المصنف باب من رخص في رقية النملة =

وهناك بعض الصحابيات[١] الأُخريات اللواتي تعلمن القراءة والكتابة.

وعائشة رضي الله عنها قد نالت من هذا العلم الحقيقي حظاً وافراً ونصيباً كاملاً، ولم يقتصر مجال تعلمها ونطاق دراستها على حصول العلوم الدينية فحسبُ، بل كانت بارعة حتى في علوم التاريخ والطب[٢] والأدب، وقد ورثته من أبيها[٣].

أما الطب فقد تعلمته من وفود العرب التي كانت تفد على الرسول ﷺ وتنعت له الأنعات، لما سألها عروة فقال: أعجب من علمك بالطب كيف هو؟ ومن أين هو؟ فقالت: أي عُرَيّة إن رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره أو في آخر عمره، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات، وكانت أعالجها له فمن ثَمّ»[٤].

= ٤٣/٥ برقم ٢٣٥٤٢، والإمام الطحاوي في شرح معاني الآثار ٣٢٦/٤، والإمام أحمد في مسنده ٣٧٢/٦ برقم ٢٧١٤٠، وإسحاق بن راهويه في مسنده ٧٨/١ ت د.عبد الغفور البلوشي ط: مكتبة الإيمان المدينة المنورة.

(١) قد ذكر الإمام البلاذري من هؤلاء النساء: أم كلثوم بنت عقبة، كريمة بنت المقداد، وغيرهما، انظر: فتوح البلدان للبلاذري، أمر الخط ٤٥٨/١.

(٢) أخرج الحاكم في المستدرك عن عروة قوله: «ما رأيت أحداً أعلم بالحلال والحرام والعلم والشعر والطب من عائشة أم المؤمنين»، «١٢/٤ برقم ٦٧٣٣».

(٣) يدل عليه قول عروة فيما أخرجه الإمام أحمد: كان عروة يقول لعائشة رضي الله عنها :« يا أمتاه لا أعجب من فهمك، أقول زوجة رسول الله ﷺ وبنت أبي بكر. ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس، أقول ابنة أبي بكر، وكان أعلم الناس أو من أعلم الناس...» ٦٧/٦ برقم ٢٤٤٢٥.

(٤) نفس المصدر.

من حِكم تعدد أزواج النبي صلى الله عليه وسلم:

لعله من حكمة الله في الأمور الدينية والدعوية أن تتعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وتتعدد صلات المصاهرات بينه وبين مختلف القبائل في الجزيرة العربية، ولعل أكبر مصلحة دينية ودعوية في تعدد أزواجه صلى الله عليه وسلم، وزواجه من عائشة في السن المبكر هو أن مئات من الرجال قد سنحت لهم الفرصة لنيل شرف صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم، فاقتبسوا من أنوار فيوضه، وارتووا من منهله العذب الفياض، واستضاؤوا من أنواره، وبلغوا قمة العز والسعادة والشرف.

أما النساء فلم يتيسر لهن ذلك، ولم تتوافر لديهن هذه الفرصة، نظراً إلى الفرق في الفطرة والجبلّة، وبالتالي فكان حظهن أقل بكثير من حظ الرجال ونصيبهم إلا الزوجات المطهرات فقد متعهن الله بهذه النعمة الكبيرة وأكرمهن بهذه السعادة العظيمة، وكان بإمكانهن أن يشاركن الرجال في هذه السعادة، ثم يقمن ببث هذه السعادة ونشرها وإبلاغها إلى صنف النساء، ويكنّ سفراءه صلى الله عليه وسلم إلى سائر نساء العالم، ويقمن بإعادة سيرته المطهرة، ينشرن تفاصيلها للناس، كأن الوحي لم ينقطع، وكأنهن من أنواره في شمس لا يُلِمّ بها أفول.

هذا وقد كانت الأزواج المطهرات اللاتي تزوجهن الرسول صلى الله عليه وسلم وأكرمهن الله تعالى به استفدن من فيوض النبوة وبخاصة عائشة رضي الله عنها، ولما دخلت في سن طلب العلم والدراسة غشيتها أنوار السعادة، وأخذت بها إلى دار مباركة، ألا وهي دار النبوة والرسالة، ولم يكن كل ذلك إلا لكي تبرز شخصيتها، وتصبح منارة نور وهداية، ومنبع خير وبركة تستقي منها النساء، ويرجعن إليها في كل ما تراجع فيه السنن النبوية من شؤون عامة وخاصة.

وكان أبوها أبو بكر الصديق رضي الله عنه أعلم قريش بأنسابها وبالشعر[١]، وكان مستشاراً في الأنساب لشعراء الإسلام الذين انبروا للدفاع عن دينهم ورسولهم بأبلغ عبارة وأصدق بيان ضد من يحاولون النيل من شعراء قريش[٢]، فترعرعت عائشة في حضن هذا الوالد العظيم، وكانت بنت أبيها في أكثر من خصلة، ولكنها كانت أشبه ما تكون به في صفة الذكاء المتوقد، والبديهة الواعية، ولم تقصر فيها عن شأوه، بل لا نحسبها قصرت عن شأو واحد من معاصريها من الرجال والنساء على السواء في سرعة الفهم، وقدرة التحصيل، والإحاطة بكل ما يقع في متناول ذهنها، فكانت تقتدي بأبيها في حفظ الأخبار والأنساب، وكانت توّاقة إلى معرفة تواريخ الأمم. وغزارة العلم بيّنة في لغة السيدة عائشة، فقد كان لها أسلوب في اللغة لا يتهيأ بغير محصول كبير من أخبار العربية التي تستقى من أعرق مصادرها، وذلك لأنها كانت قد قبست من ميراث طِباع ومَلَكات أبيها الأدبية والشعرية[٣]، وذوقه الرفيع وجودة القريحة.

---

(١) راجع صحيح الإمام مسلم باب مناقب حسان رضي الله عنه برقم ٢٤٩٠، وسنن البيهقي الكبرى ٢٣٨/١٠، والمعجم الكبير للطبراني ٣٨/٤ برقم ٣٥٨٢.

(٢) حيث قال صلى الله عليه وسلم لحسان: ائتِ أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك، فكان يمضي إلى أبي بكر ليقف على أنسابهم، فكان يقول له: كُفَّ عن فلانة وفلانة واذكر فلانة، فجعل حسان يهجوهم، فلما سمعت قريش شعر حسان قالوا: إن هذا الشعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة، أو من شعر ابن أبي قحافة (الاستيعاب لابن عبد البر ٣٤٢/١).

(٣) أحال المؤلف رحمه الله إلى مستدرك الحاكم، وقد ورد في المستدرك عدة أحاديث في هذا المعنى منها: عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ما رأيت أحداً أعلم بالحلال والحرام والعلم والشعر والطب من عائشة أم المؤمنين. المستدرك، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب تسمية أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم في الجاهلية والإسلام (٦٧٣٣).

ومنها: عن ابن أبي مليكة قال: قلت لعائشة: تقولين الشعر وأنتِ ابنة الصديق ولا تبالين... (١٢/٤) بأرقام ٦٧٣٣، ٦٧٣٧).

حزم أبي بكر في تربية أولاده:

كـان أبو بكـر رضي الله عنه حازماً في تربية أولاده، ومـن حزمه في التربية أنـه كـان يغضب على أولاده مـن أجل أمور عادية وبسيطة[١]. وعائشة كانت تخاف أباهـا من أخطائها حتى بعد الـزواج[٢]، وقـد عاتبهـا أبـو بكـر رضي الله عنه في عـدة مواضـع[٣] وقـد حـدث ذلـك مـرة أمـام النبي صلى الله عليه وسلم فأنقذها صلى الله عليه وسلم[٤].

---

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى غضب أبي بكر رضي الله عنه على ابنه عبد الرحمن، حيث أوصاه أن يهتم بالضيوف ويطعمهم قبل أن يرجع، والحديث أخرجه البخاري ونصه: إن أبا بكر تضيف رهطاً، فقال لعبد الرحمن: دونك أضيافك، فإني منطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فافرغ من قراهم قبل أن أجيء، فانطلق عبد الرحمن، فأتاهم بما عنده فقال: اطعموا، فقالوا: أين ربّ منزلنا؟ قال: اطعموا، قالوا: ما نحن بآكلين حتى يجيء رب منزلنا، قال: اقبلوا عنا قراكم، فإنه إن جاء ولم تطعموا لنلقينّ منه، فأبوا، فعرفت أنه يجد عليّ، فلما جاء تنحيت عنه، فقال: ما صنعتم فأخبروه، فقال: يا عبد الرحمن فسكتُّ، ثم قال: يا عبد الرحمن، فسكتُّ فقال: يا غُنثر، أقسمت عليك إن كنت تسمع صوتي لما جئت، فخرجت»...الحديث.

أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب برقم ٦١٤٠، ومسلم في صحيحه كتاب الأشربة برقم ٢٠٥٧، وأبو داود كتاب الأيمان والنذور برمق ٣٢٧٠ والغنثر قيل الذباب وقيل الجاهل والسفيه وغير ذلك، انظر الفتح ٣٨٦/١٠.

(٢) أشار المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس قال: كان للنبي صلى الله عليه وسلم تسع نسوة، فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلا في تسع فكن يجتمعن في كل ليلة في بيت التي يأتيها، فكان في بيت عائشة، فجاءت زينب، فمدّ يده إليها فقالت: هذه زينب، فكفّ النبي صلى الله عليه وسلم يده، فتقاولتا حتى استخبتا، وأقيمت الصلاة فمرّ أبو بكر على ذلك، فسمع أصواتهما، فقال: اخرج يا رسول الله إلى الصلاة واحث في أفواههن التراب، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة: الآن يقضي النبي صلاته فيجئ أبو بكر فيفعل بي ويفعل، فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته أتاها أبو بكر فقال لها قولاً شديداً وقال: أتصنعين هذا، (صحيح مسلم كتاب الرضاع برقم ١٤٦٢) واستخبتا أي ارتفعت أصواتهما. النووي على مسلم ٤٧/١٠.

(٣) من تلك المواضع ما رواه البخاري في صحيحه كتاب التيمّم برقم ٣٣٤ وفيه: فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي.... الحديث.

(٤) وذلك ما رواه أبو داود عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: استأذن أبو بكر رضي الله عنه على النبي فسمع صوت عائشة عالياً، فلما دخل تناولها ليلطمها وقال: لا أراك ترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل =

مراجعة أم المؤمنين عائشة النبي ﷺ في كل ما يُشكل عليها:

هذا ولم يكن هناك ساعات محدّدة أو حصص خاصة لتحصيل العلم؛ لان معلّم الشريعة ﷺ كان بنفسه موجوداً في البيت، وكانت تنال شرف صحبته ليل نهار، وحلقات العلم والدعوة والإرشاد تقام في المسجد النبوي يومياً، وحجرتها رضي الله عنها كانت ملاصقة للمسجد، ولذا فإنه كانت تتوافر لها فرص الاستفادة من تلك الدروس التي يلقيها الرسول الكريم ﷺ أمام الجماهير خارج البيت، وحين يُشكل عليها أمر من الأمور ولا تفهمه أو لا تسمعه جيداً فإنها كانت تستفسر من النبي ﷺ عنه عندما يأتي البيت[1]، أحياناً تقترب من المسجد حتى تسمع من قريب، كما أنه ﷺ كان قد خصص يوماً في الأسبوع لتعليم النساء ووعظهن[2]، فكانت تعي من سنن النبي ﷺ في مختلف القضايا وشتى العلوم والمعارف في اليوم والليلة.

وكان من عادتها أنها كانت كثيرة السؤال، لا يهدأ لها بال حتى تُرضي طمأنينتها، وتجلو لنفسها كل خفي حتى تحيط به، فكانت ذات مرة قد سمعت قول الرسول ﷺ: «مَن حوسبَ عُذِّب» فقالت له: إن الله تعالى يقول: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾[3] فقال لها الرسول ﷺ: «إنما ذلك العرضُ، ولكنْ من نُوقِشَ الحسابَ هلك»[4].

= النبي ﷺ يحجزه، وخرج أبو بكر مغضباً، فقال النبي ﷺ حين خرج أبو بكر: «كيف رأيتني قد أنقذتك من الرجل....» الحديث، أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب برقم ٤٩٩٩، والنسائي في السنن الكبرى ١٣٩/٥ برقم ٨٤٩٥، ٣٦٥/٥ برقم ٩١٥٥، ط: دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١هـ.

(١) انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل ٧٥/٦ برقم ٢٤٥١١ وكذلك ٢٤٥٠٧ وكذلك ٢٤٥١٤.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعد الخدري رضي الله عنه قال: قالت عائشة للنبي ﷺ غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهنّ يوماً لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن، فكان فيما قال لهن: «ما منكن امرأة تقدّم....» «باب هل يُجعل للنساء يوم علي حده؟ برقم ١٠٢».

(٣) سورة الانشقاق الآية«٤٨».

(٤) أشار به المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم برقم ١٠٣، ومسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها برقم ٢٨٧٦، والترمذي في سننه كتاب صفة القيامة والرقائق برقم ٢٤٢٦ وأبو داود كتاب الجنائز برقم ٣٠٩٣.

وذات مرة تلت قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[1]– وفي رواية – قوله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

وسألت أين الناس يومئذ يا رسول الله ﷺ؟ فقال ﷺ: «على الصراط»[2].

ولمَّا سمعت الرسول ﷺ يقول: «يُحشَرُ النّاسُ يومَ القيامةِ عُراةً»، سألت هل ينظر الرجال والنساء بعضهم إلى بعض؟ فقال الرسول ﷺ: الأمرُ أشدُ من أن يهمَّهم ذاك»[3]، وفي رواية مسلم: «يا عائشة! الأمرُ أشدُ من أن ينظرَ بعضُهم إلى بعض».

وسألت مرة رسول الله ﷺ فقالت: هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ فقال: «يا عائشة أما عند ثلاث فلا، أما عند الميزان حتى يثقل أو يخفَّ، وأمَّا عند تطاير الكتب فإما أن يُعطى بيمينِه أو يُعطى بشمالهِ فلا، وحين يخرج عنق من النار فينطوي عليهم، ويتغيظ عليهم، ويقول ذلك العنق: وُكّلت بثلاثة.....»[4].

---

(١) سورة إبراهيم الآية«٤٨».

(٢) الرواية التي فيها قول الله تعالى ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ يَوْمَ ...... ﴾ أخرجها الإمام أحمد في مسنده عن مسروق قال: قالت عائشة رضي الله عنها: أنا أول الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ قالت: فقلت: أين الناس يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: على الصراط. أحمد في المسند ٣٥/٦ «٢٤١١٥» وأخرجها الإمام مسلم في صحيحه كتاب صفة القيامة والجنة والنار برقم ٢٧٩١، والترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن برقم ٣١٢١، وابن ماجه في سننه كتاب الزهد برقم ٤٢٧٩، والدارمي في سننه كتاب الرقاق برقم ٢٨٠٩ والرواية التي فيها قول الله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ .... ﴾ أخرجهما الترمذي ٣٧٢/٥، وأحمد ٣٤٩/٤١، ضعفه الألباني والأرناؤوط.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الرقاق برقم ٦٥٢٧، ومسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها برقم ٢٨٥٩، والنسائي كتاب الجنائز برقم ٢٠٨٤.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١١٠/٦ برقم ٢٤٨٣٧، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٥٨/١٠ باب ما جاء في الميزان والصراط والورود، وقال: عند أبي داود طرف منه، ورواه أحمد وفيه ابن لهيعة =

وسألته يوماً عن الكفار والمشركين إذا عملوا عملاً صالحاً في الدنيا فهل يثابون عليه أم لا؟ وذكرت عبد الله بن جدعان من مشركي مكة، الذي كان رجلاً صالحاً رفيقاً بالناس، وقد أنشأ مجلساً للتصالح، أطلق عليه «حلف الفضول» جمع فيه كل رؤساء قريش لإيقاف الحرب الناشبة والمستعرة فيما بين قريش وكنانة، قبل مجيء الإسلام، حيث كان الرسول ﷺ أحد أعضاء هذا المجلس، فسألت الرسول ﷺ: يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المساكين، ويحسن الجوار، ويقري الضيف، فهل ذاك نافعه؟ قال: «لا يا عائشة! إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»[1].

وكما هو معلوم فإن الجهاد ذروة سنام الإسلام، وركيزة أساسية من ركائز ديننا الإسلامي الحنيف وأهم فرائضه، فكانت عائشة ترى أنَّ الجهاد فرض على النساء مثل الرجال، لعدم التفريق بين الصنفين في الفرائض الأخرى، فاستفسرت قائلة: هل عليهن جهاد؟ فقال ﷺ: «جهادهن الحج»[2].

كما سألت الرسول ﷺ عن الجارية يُنكِحُها أهلها هل تُستَأمَرُ أم لا؟ فقال لها الرسول ﷺ: «نعم تستأمر»، قالت عائشة: فقلت له: فإنها تستحي، فقال ﷺ: «فذلك إذنها إذا هي سكتت»[3].

= وهو ضعيف وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح. قلت: أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة برقم ٤٧٥٥. وضعفه الشيخ الألباني والأرناؤوط.

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان برقم ٢١٤، وابن حبان في صحيحه ٢٩/٢ برقم ٣٣٠ والحاكم في المستدرك ٤٣٩/٢ برقم ٣٥٢٤، وأحمد في مسنده ٩٣/٦ برقم ٢٤٦٦٥.

(٢) أشار به المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال: لكُنّ أحسن الجهاد وأجمله الحج، حج مبرور، فقالت: فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ، «البخاري باب حج النساء برقم ١٨٦١، وأخرجه النسائي في كتاب الحج برقم ٢٦٢٨ وابن ماجه في سننه كتاب المناسك برقم ٢٩٠١».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح برقم ٥١٣٧، ومسلم في صحيحه كتاب النكاح برقم ١٤٢٠ وكذلك البخاري في صحيحه كتاب النكاح برقم ١٤٢٠ وكذلك البخاري في صحيحه كتاب الإكراه برقم ٦٩٤٩، والنسائي في كتاب النكاح برقم ٣٢٦٦.

إن الإسلام قد أولى حقوق الجيران اهتماماً بالغاً وعناية كبيرة، والنساء أحظى الناس في أداء هذه الحقوق، حيث تتاح لهنّ الفرص لأداء هذه الحقوق أكثر من الرجال، فأشكلت على عائشة قضية الترجيح بين الجارين فسألته ﷺ قائلة: إنَّ لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: «إلى أقربهما منك باباً»[١].

وذات مرة جاءها عمها من الرضاعة يستأذن عليها، فأبت أن تأذن له، فجاء الرسول ﷺ فسألته عن ذلك، فقال: إنه عمك فاذني له، قالت: فقلت: يا رسول الله إنما أرضعتني المرأة ولم يرضعني الرجل، قالت: فقال الرسول ﷺ: « إنَّه عَمُّك فَلْيلجْ عَلَيْكِ»[٢].

وأشكل عليها مفهوم قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾[٣] فسألت رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله؟ قال: «لا يا بنت أبي بكر يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلّي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله ﷻ»[٤].

ولمّا سمعت قول الرسول ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» قالت: فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت فكلنا نكره الموت، قال«ليس كذلك، ولكنّ المؤمن إذا بُشّر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله، فأحبّ الله لقاءه، وإنَّ الكافر إذ بُشّر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الشفعة برقم ٢٢٥٩، وكتاب الهبة برقم ٢٥٩٥ وكتاب الأدب برقم ٦٠٢٠، وأبو داود في سننه كتاب الأدب برقم ٥١٥٥، والإمام أحمد في مسنده ١٧٥/٦ برقم ٢٥٤٦٢، ٢٣٩/٦ برقم ٢٦٠٦٨، والحاكم في المستدرك ١٨٥/٤ برقم ٧٣٠٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن برقم ٤٧٩٦ وكتاب النكاح برقم ٥٢٣٩ ومسلم في صحيحه كتاب الرضاع برقم ١٤٤٥ والترمذي في سننه كتاب الرضاع برقم ١١٤٨.

(٣) سورة المؤمنون الآية «٦٠».

(٤) أخرجه الإمام الترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن برقم ٣١٧٥، وابن ماجه في سننه كتاب الزهد برقم ٤١٩٨، والإمام أحمد في مسنده ١٥٩/٦ برقم ٢٥٣٠٢. واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق برقم ٦٥٠٧، ومسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار برقم ٢٦٨٤ وبرقم ٢٦٨٥ واللفظ له، والترمذي في سننه كتاب الجنائز برقم ١٠٦٧.

وهكذا لدينا عدد كبير من أمثال هذه الاستفسارات والإشكالات التي نجدها في ذخائر السنن النبوية وخزائن الأحاديث الشريفة، التي عرضتها عائشة على الحبيب المصطفى ﷺ للكشف عن حقائقها، وإزاحة الستار عن واقعيتها، وإنها في واقع الأمر عدد من الدروس التي تلقتها عائشة رضي الله عنها من لسان الرسول ﷺ في تعليمها اليومي حتى إنها رضي الله عنها لم يَفُتها أن توجه السؤال إلى الرسول الكريم ﷺ في بعض المناسبات التي يُخاف فيها أن يجد[1] الرسول ﷺ عليها، لكن من رحمته ﷺ بها وحبه لها وشفقته عليها أنه لم يكن يتضايق من مناقشاتها وتوجيهها الأسئلة إليه، بل كان يُسَرّ بذلك.

ومثالاً لذلك فقد أقسم النبي ﷺ مرة ألا يدخل على نسائه شهراً، وأقام في مشربة له تسعة وعشرين يوماً، وهجرهن خلال هذه الفترة، فشق ذلك عليهن كثيراً، ولما مضت تسع وعشرون دخل على عائشة فبدأ بها، ومما لا شك فيه أنها كانت مناسبة مباركة تبعث على الفرح والسرور بالنسبة لعائشة رضي الله عنها، وكان المفروض أن تسرّ عائشة وتنسى كل ما مضى، ولا تتفوه بكلمة تكاد تُغضب النبي ﷺ ولكنها آثرت فهم الشريعة وحلّ عقدتها على هذه الفرحة، فماذا سمع منها الرسول ﷺ أول ما سمع؟ قالت: إنك أقسمت ألا تدخل علينا شهراً، وإنا أصبحنا لتسع وعشرين ليلة أَعُدُّها؟ فقال النبي ﷺ «الشهر تسع وعشرون يوماً، وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين....»[2].

واستأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: ائذنوا له، بئس أخو العشيرة، أو ابن العشيرة، فلما دخل ألان له الكلام، فتعجبت عائشة من ذلك، فلما نهض قالت: يا رسول الله! قلت الذي قلت، ثم ألنت له الكلام؟ فقال ﷺ: «أي عائشةُ إنَّ شر الناسِ مَنْ تركه النَّاسُ، أو وَدَعَهُ النّاسُ إتقاء فُحْشِه»[3].

---

(١) يجد: يغضب ويضجر.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المظالم والغصب برقم ٢٤٦٨ في حديث طويل، وكتاب النكاح برقم ٥١٩١، ومسلم في صحيحه كتاب الطلاق برقم ١٤٧٥، والترمذي في سننه كتاب التفسير برقم ٣٣١٨.

(٣) اخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب برقم ٦٠٥٤ ومسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب برقم ٢٥٩١، والترمذي في سننه كتاب البر والصلة برقم ١٩٩٦، وأبو داود كتاب الادب برقم ٤٧٩١.

كان النبي ﷺ لا يقبل هدايا الأعراب وأصحاب البادية، لِما كان يعلم أنهم لا يتحرَّون في أطعمتهم وأشربتهم، ولا يحتاطون فيها، كما أنهم ليس لديهم علم كاف بشرائع الإسلام ومبادئ الدين، وذات يوم جاءت أم سُنبلة، وأهدت إلى رسول الله ﷺ لبناً، فلم تجده، فقالت لها عائشة: إن رسول الله ﷺ قد نهى أن يؤكل طعام الأعراب، فدخل رسول الله ﷺ وأبو بكر فقال: ما هذا معكِ يا أم سُنبلة؟ قالت: لبناً أهديت لك يا رسول الله، قال: اسكُبي أمَّ سنبلة، فسكبت، فقال: ناولي أبا بكر، ففعلت، فقال: اسكُبي أمَّ سنبلة، فسكبت، فناولت رسول الله ﷺ فشرب، قالت عائشة: يا رسول الله كُنتُ حُدِّثتُ أنك قد نَهَيْتَ عن طعام الأعراب؟ فقال: «يا عائشة! إنهم ليسوا بالأعراب، هم أهل باديتنا ونحن أهل حاضرتهم، وإذا دعوا أجابوا، فليسوا الأعراب»[(١)].

قصد النبي ﷺ بذلك أنهم يعرفون أحكام الشريعة، وإذا دعوناهم إلى نصرة الدين فإنهم يجيبون ولا يترددون، إذن هم ليسوا من الأعراب.

ولما سمعت قول رسول الله ﷺ: «سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لا يدخل أحداً الجنة عمله» استغربت من قوله: «فإنه لا يدخل أحداً الجنة عمله» لظنها أنَّ المعصومين يستثنون من هذه القاعدة العامة، فسألت: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بمغفرةٍ ورحمةٍ»[(٢)].

ورأت مرة رسول الله ﷺ يريد أن ينام قبل أن يوتر، فقالت: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ قال: «يا عائشة إنَّ عيني تنامان، ولا ينام قلبي»[(٣)].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٤٢/٤ برقم ٧١٦٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٤٩/٤ باب ثواب الهدية والثناء والمكافأة، وأحمد في المسند ١٣٣/٦ برقم ٢٥٠٥٤ واللفظ له وابن سعد في الطبقات الكبرى ١٩٤/٨ وأورده ابن عبد البر في الاستعياب ١٩٤٢/٤، وابن حجر في الإصابة ٢٣٣/٨. والحديث حسنه الشيخ شعيب.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق برقم ٦٤٦٧، ومسلم في صحيحه كتاب صفة القيامة والجنة والنار برقم ٢٨١٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب صلاة التراويح برقم ٢٠١٣، ومسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها برقم ٨٣٧.

قد تبدو هذه الأسئلة من قبيل سوء الأدب لأولئك الذين لا يدركون حقيقة الأمور، ولا يتعمقون في التفكير، لكن الواقع الذي لا ينازع فيه اثنان أنه لو لم تكن هذه الجرأة النسائية لتوجيه الأسئلة إلى النبي ﷺ والاستفسارات عن الإشكالات، لما أمكن اليوم لأبناء الأمة المحمدية أن يطلعوا على حقيقية النبوة، وبغض النظر عن هذه الأسئلة والمناقشات العلمية والمباحث الدراسية فهناك جانب آخر مهم ألا وهو مراقبة النبي ﷺ لكل أعمال وحركات عائشة رضي الله عنها وإيلاؤه إياها اهتماماً بالغاً، فكان ﷺ ينبهها على زلّاتها، ويربيها ويعلمها بعناية فائقة، ولم يفتأ رويداً رويداً يشركها في العبء الذي ينبغي أن تنهض به زوجة النبي وأم المؤمنين وسفيرته الأولى إلى عالم النساء.

دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقال: السام عليكَ – بدل السلام عليك – فقال ﷺ «وعليكم»، وكانت عائشة رضي الله عنها تسمع ذلك فقالت: وعليكم السام واللعنة، فقال رسول الله ﷺ «مهلاً يا عائشة! إنَّ الله يحب الرفق في الأمر كله»[(1)].

وسُرق لعائشة رضي الله عنها شيء، فجعلت تدعو على من سرقه – كما هي عادة النساء – فقال لها النبي ﷺ :«لا تسبخي عنه»[(2)].

وذات مرة كانت عائشة مع النبي ﷺ في سفر فلعنت بعيراً لها – كعادة النساء في هذه المناسبات – فأمر به النبي ﷺ أن يرد، وقال «لا يصحبني شيء ملعون»[(3)]. فكان ذلك تعليماً لها عدم توجيه اللعن إلى البهائم.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأدب بأرقام ٦٠٢٤-٦٢٥٦-٦٣٩٥-٦٤١٠، ومسلم في صحيحه كتاب السلام برقم ٢١٦٥، والترمذي في سننه كتاب الاستئذان والآداب برقم ٢٧٠١.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤٥/٦ برقم ٢٤٢٢٩ وفي رواية أخرى له «سُرق لي ثوب» ١٣٦/٦ برقم ٢٥٠٩٥، وفي رواية أخرى «سرقت مخنقتي» ٢٥١/٦ برقم ٢٥٨٤٠، كما أخرجه الإمام أبو داود في سننه باب فيمن دعا على من ظلم برقم ٤٩٠٩، وفي رواية أخرى له «سرقت ملحفة لها» برقم ١٧٩٧ كتاب الصلاة، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى باب الدعاء على السارق برقم ٧٣٥٩، ٣٢٧/٤ والطبراني في الأوسط بلفظ «سرق لها متاع» ١٨٤/٤ برقم ٣٩٢٥. وقوله «لا تسبخي» لا تخففي.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٧٢/٦ برقم ٢٤٤٧٨، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧٧/٨ باب ما نهي عن سبه من الدواب و ما يفعل بالدابة إذا أجيب في لعنها. والحديث ضعفه الألباني والأرناؤوط.

وجاء مسكين إلى عائشة فتصدقت عليه بشيء، فأمرت بريرة أن تأتيها فتنظر إليه، فقال لها النبي ﷺ «لا تحصي فيُحصى عليك»(١).

وقال لها في مناسبة أخرى:«يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسدّ من الجائع مسدّها من الشبعان»(٢).

وسمعت النبي ﷺ يدعو «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة» فقالت: لمَ يا رسول الله؟ قال: «إنهم يدخلون الجنة قبلَ أغنيائهم بأربعينَ خريفاً، يا عائشة! لا تردي المسكين ولو بشقِّ تمرة، يا عائشةُ! أحبِّي المساكين وقرِّبيهم، فإنَّ الله يقربك يوم القيامة»(٣).

فكان النبي ﷺ يعلمها الأحكام الدينية والمسائل الشرعية المنوطة في مختلف المجالات من الصلاة والذكر والدعاء، والحياة الاجتماعية، وهي تتعلمها بكل شوق ورغبة، وتستمع إليها بآذان صاغية وقلب واعٍ، وتعمل بها بكل مواظبة ومداومة(٤).

---

(١) أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه ذكر الزجر عن إحصاء المرء صدقته إذا تصدق بها ١٥١/٨ برقم ٣٣٦٥، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد باب اللهم أعط منفقاً خلفاً ١٢٢/٣ والإمام النسائي في السنن الكبرى باب الإحصاء في الصدقة ٣٨/٢ برقم ٢٣٣٠، والإمام أحمد في مسنده ٧٠/٦ برقم ٢٤٤٦٣ و ١٠٨/٦ برقم ٢٤٨١٠.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٧٩/٦ برقم ٢٤٥٤٥، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب ٦/٢ برقم ١٢٧٨، وأصل الحديث موجود في الكتب الستة عدا أبا داود وغيرها بلفظ «اتقوا النار ولو بشق تمرة»، ولفظ (فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان) ضعيف.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الزهد برقم ٢٣٥٢، والبيهقي في شعب الإيمان١٦٧/٢ برقم ١٤٥٣، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب ٦٦/٤ برقم ٤٨٢٥ ط: دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧ هـ ت إبراهيم شمس الدين. وصححه الشيخ الألباني وضعف الشيخ من أول قول عائشة (لم يا رسول الله ..).

(٤) من أمثلة شدة مواظبتها على العمل بتعليم النبي ﷺ ما رواه أحمد في مسنده عن عائشة قالت: صليت صلاة كنت أصليها على عهد النبي ﷺ لو أن أبي نُشِر فنهاني عنها ما تركتها ١٣٨/٦ برقم ٢٥١٢٢، وهناك أحاديث تدل على تعلمها أمور دينها من النبي ﷺ.
راجع: مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٣٨/٦ و ١٤٧/٦ و ١٥١/٦.

الشؤون المنزلية:

إن البيت الذي بنى فيه النبي ﷺ بعائشة رضي الله عنها لم يكن قصراً عالياً رفيعاً مفخَّماً، وإنما كان عبارة عن حجر وغرف صغيرة في حي بني النجار، مبنية حول المسجد النبوي الشريف، بناها النبي ﷺ لتكون مساكن له ولأهله، وكانت مساكن قصيرة البناء قريبة الفناء، ومن بينها كانت حجرة عائشة رضي الله عنها بناها النبي ﷺ شرقي المسجد(١)، وكان بابه من هذه الحجرة واقعاً داخل المسجد النبوي على جهة الغرب، وكأن المسجد النبوي صار فِناءً لها.

وكان النبي ﷺ يصغي إلى عائشة رأسه وهو معتكف في المسجد، فترجّله(٢)، وأحياناً يطلب شيئاً فيمد يده من المسجد إليها فتناوله إياه، وكان عرض الحجرة ستة أو سبعة أذرع، وجدارها من الطين، وسقفها من جريد النخل، قصير حيث يناله كل من يقف، مغشاة من خارج بمسوح الشعر، لكي تكون وقاية من المطر، ولم يكن للباب مصراعان وإنما مصراع واحد من عرعر أو ساج(٣)، إلا أنه لم يُغلق على أحد ليوم واحد طوال الحياة.

وكان في جنب الحجرة مشربة أقام فيها الرسول ﷺ شهراً كاملاً زمن الإيلاء(٤)، وكان جهاز بيت النبي ﷺ وأثاث حجرته محتوياً على سرير وحصير، ووسادة من أدم حشوها ليف، وأُهُب معلقة، وقِرْبة، وإداوة للماء والتمر، وقطعةٍ لشُربْ الماء(٥).

---

(١) راجع للتفصيل: خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى للإمام السمهودي الباب الرابع فصل٤.

(٢) أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يصغي إليّ رأسه وهو مجاور في المسجد، فأرجّله وأنا حائض. وفي لفظ للبخاري:«ليدخل عليّ رأسه وهو في المسجد فأرجّله» وفي لفظ لمسلم «كان رسول الله ﷺ إذا أعتكف يدني إليّ رأسه فأرجّله».
انظر: صحيح البخاري ح(٢٠٢٨) و (٤٠٢٩) وصحيح مسلم ح(٢٩٧).

(٣) يراجع: الأدب المفرد للبخاري باب البناء ٢٧٢/١ برقم ٧٧٦، والطبقات الكبرى لابن سعد، وخلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودي الباب للرابع الفصل الرابع، ووفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٤٥٨/١. وصححه الشيخ الألباني.

(٤) سبق تخريج حديث الإيلاء، انظر صحيح البخاري برقم ٢٤٦٨.

(٥) انظر: صحيح البخاري بأرقام ٤٩١٣، ٢٤٦٨، ٥٣٨٨، ٩٠٥.

ومما لا شك فيه أن مسكن النبي صلى الله عليه وسلم كان منبعاً للأنوار الربانية، ومنهلاً للفيوض النبوية إلا أنه كان خالياً من المصابيح الدنيوية، فلم يكن هناك سراج ولا مصباح يضيء البيت وينوّره بالنور والضياء الظاهري، تقول عائشة رضي الله عنها: كنت أنام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاي في قبلته فإذا سجد غمزني فقبضت رجليّ، فإذا قام بسطتهما، قالت: والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح[1]».

هذا ولم يكن في البيت أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضي الله عنها، وبعد فترة جاءت جارية «بريرة» واشترطت أن يكون ولاؤها لها[2]. وفي بداية الأمر حينما لم تكن من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إلا سودة وعائشة، كان صلى الله عليه وسلم يبيت عند عائشة ليلة بعد ليلة، ولما تشرفت الأزواج والمطهرات الأخريات بهذا الشرف، وأكرمهن الله تعالى به، وكَبِرت سودة رضي الله عنها جعلت يومها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومين من تسعة أيام، يومها ويوم سودة[3].

ولم يكن هناك اهتمام كبير بأمور البيت، ولم تعد لديهم حاجة إلى ذلك، وقلّما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار، تحكي لنا عائشة رضي الله عنها حياتها اليومية ومعيشتها فتقول: «ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز برّ مأدوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله عز وجل»[4]،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة برقم ٥١٣، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة برقم ٥١٢، والنسائي في سننه كتاب الطهارة برقم ١٦٨، ومالك في الموطأ كتاب النداء للصلاة برقم ٢٥٨.

(٢) انظر: صحيح البخاري كتاب الصلاة برقم ٤٥٦، كتاب البيوع بأرقام ٢١٥٥، ٢١٥٦، ٢١٦٨، كتاب الهبة برقم ٢٥٧٨، كتاب العتق برقم ٢٥٦٣، كتاب الشهادات برقم ٢٦٣٧، ٢٦٦١، كتاب الشروط برقم ٢٧١٧، وصحيح الإمام مسلم كتاب العتق برقم ١٥٠٤.

(٣) تُنظر الأحاديث الواردة في هذا السياق في صحيح البخاري كتاب الهبة برقم ٢٥٩٤ و ٢٦٨٨، كتاب الشهادات، كتاب النكاح برقم ٥٢١٢، وصحيح مسلم كتاب الرضاع برقم ١٦٦٣، وسنن أبي داود كتاب النكاح برقم ٢١٣٨.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الزهد برقم ٢٣٥٢، والبيهقي في شعب الإيمان٢/١٦٧ برقم ١٤٥٣، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب ٤/٦٦ برقم ٤٨٢٥ ط: دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧ هـ ت إبراهيم شمس الدين.

وكانت تقول: «لَيَأتي على آل محمد ﷺ الشهر ما يختبزون خبزاً ولا يطبخون قِدراً»، وفي رواية: «قد كان يأتي على آل محمد ﷺ الشهر، ما يُرى في بيت من بيوته الدخان»[١]، «كانوا يعيشون على التمر والماء»[٢].

فَرْض النبي ﷺ العطية لأزواجه بعد فتح خيبر:

فَرَضَ النبي ﷺ لنسائه بعد فتح خيبر عطية لتغطية المصاريف السنوية، كان مقدارها ثمانين وَسْقاً من تمر وعشرين وَسْقاً من شعير[٣]، إلا أن هذه العطية سرعان ما تنتهي لكثرة بذلهن وإنفاقهن، وما مُنحن من الله تعالى، من طبيعة فيّاضة، وما جُبلنَ عليه من السخاء والكرم والإحسان إلى مستحقيه، فلا تكفيهن هذه العطية للسنة الكاملة.

وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يبعثون بالهدايا والتحف إلى الرسول ﷺ، وكانوا يتحرَّوْن بهداياهم – خاصة – يوم عائشة رضي الله عنها لما كانوا يعرفون من حبه ﷺ إياها[٤].

---

(١) قد ورد في صحيح البخاري كلمة «الشهر» كتاب الرقاق برقم ٦٤٥٨.أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢١٧/٦ برقم ٢٥٨٦٧ و ٢٣٧/٦ برقم ٢٦٠٤٦، والطيالسي في مسنده ص ٢٠٧.

(٢) تقول عائشة رضي الله عنها: كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه ناراً، إنما هو التمر والماء... الحديث. كتاب الرقاق من صحيح البخاري برقم ٦٤٥٨، وفي رواية: قالت رداً على سؤال عروة ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء.«كتاب الرقاق برقم ٦٤٥٩، وانظر مسند الإمام أحمد ٢٣٧/٦ برقم ٢٦٠٤٦.

(٣) صحيح البخاري كتاب المزارعة، باب المزارعة بالشطر برقم (٢٣٢٨). والإمام مسلم في صحيحه باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع برقم ١٥٥١، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ٦٠٩/١١ برقم ٥١٩٩، وأورده الهيثمي في موارد الظمآن ٤١٣/١ برقم ١٦٩٧، والبيهقي في السنن الكبرى ١١٥/٦ برقم ١١٤١١ باب المعاملة على زرع البياض... إلخ، وأبو داود في سننه باب ما جاء في حكم أرض خيبر برقم ٣٠٠٦، والطبراني في المعجم الصغير ٥٦/١ برقم ٥٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب برقم ٣٧٧٥، كتاب الهبة برقم ٢٥٧٤، ٢٥٨٠، ٢٥٨١، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٤٤١، والترمذي في سننه كتاب المناقب برقم ٣٨٧٩، والنسائي في سننه كتاب عشرة النساء برقم ٣٩٥٠.

وأحياناً يدخل عليها النبي ﷺ وهو يأتي من الخارج فيسألها: «هل أصبح عندكم شيء تُطْعِمُونيه؟» فتقول: «لا، ما أصبح عندنا شيء»، فيقول: «إني صائم»[(١)]، وفي بعض الأحيان: كان لهم جيران من الأنصار وكانت لهم ربائب فكانوا يبعثون إليه من ألبانها»[(٢)].

وبالرغم من هذه المكانة العالية والدرجة السامية التي كانت تحتلها عائشة رضي الله عنها في كل مجال من العلم والثقافة والفهم والإدراك وقدرة التحصيل والإحاطة والبديهة الواعية والذكاء المتوقد، رغم ذلك كله فإنها لم تكن مبرّأة معصومة عن الأخطاء التي تعتري البشر، لا سيما في صغر السنّ، فكانت جارية حديثة السن، تنام عن العجين، فتأتي الداجن فتأكله[(٣)]. وذات مرة طحنت شيئاً من شعير فجعلت له قرصاً، فأقبلت شاة لجارها داجنة، فدخلت ثم عمدت إلى القرص، فأخذته ثم أدبرت به[(٤)].

وكان بلال رضي الله عنه هو الذي يتولى مسؤولية الأمور المنزلية ونفقات أهل النبي ﷺ، فهو الذي كان يوزّع الغلة عليهن، ويستقرض إذا دعت حاجة إلى الاستقراض لتغطية المصاريف[(٥)].

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٣٩٣/٨ برقم ٣٦٣٠، والنسائي في سننه برقم ٢٣٢٦، وأبو يعلى في مسنده ٧٢/٨ برقم ٤٥٩٦، وأحمد في مسنده ٤٩/٦ برقم ٢٤٦٦. واللفظ لأحمد.

(٢) تقول عائشة رضي الله عنها فيما رواه أصحاب السنن والمسانيد: «كان لنا جيران من الأنصار جزاهم الله خيراً كان لهم لبن يُهدون منه إلى رسول الله ﷺ» أخرجه ابن حبان في صحيحه ٦٣٧٢/١٤، والإمام أحمد في مسنده ٢٤٤/٦ برقم ٢٦١١٩ و ٢٣٧/٦ برقم ٢٦٠٤٦.

(٣) يراجع حديث الإفك في صحيح البخاري وصحيح مسلم.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد ٥٥/١ برقم ١٢٠. وضعفه الشيخ الألباني.

(٥) أخرج أبو داود في سننه عن عبد الله الهوزني قال: لقيت بلالاً مؤذن الرسول ﷺ بحلب، فقلت: يا بلال حدثني كيف كانت نفقة رسول الله ﷺ؟ قال: ما كان له شيء، كنت أنا الذي ألي ذلك منه منذ بعثه الله، إلى أن توفّى، وكان إذا أتاه الإنسان مسلماً فرآه عارياً يأمرني فأنطلق فأستقرض فأشتري له البردة فأكسوه وأطعمه.. الحديث رواه أبو داود كتاب الخراج والإمارة والفيء برقم ٣٠٥٥، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ٢٦٢/١٤ برقم ٦٣٥١ وأورده الهيثمي في موارد الظمآن =

زيادة عمر رضي الله عنه في أعطيات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في عهده :

ولما توفّي النبي صلى الله عليه وسلم اتسعت رقعة الدولة المسلمة، وكانت الفتوحات، وبدأت ترِد الأموال الهائلة من مشارق الأرض ومغاربها إلى بيت مال المسلمين، وتدفقت الخيرات والثروات على خزانة الدولة بالألوف التي يحار فيها الإحصاء، إلا أن بيت عائشة رضي الله عنها لم يكن فيه طعام يومَ قُبض الرسول صلى الله عليه وسلم[1].

ومازالت أمهات المؤمنين يُصرف لهن ما فُرض لهن من حصاد خيبر إلى زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم فرض عمر رضي الله عنه في عهده لكل واحدة منهن عشرة آلاف، وزاد عائشة رضي الله عنها ألفين[2]، وفي رواية: خيّر عمر رضي الله عنه أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع لهن من الماء والأرض أو يمضي لهن، فمنهن من اختار الأرض، ومنهن من اختار الوسق، واختارت عائشة رضي الله عنها الأرض[3]، إلا أن معظم ما كانت تستلمه أم المؤمنين من العطاء كان وقفاً لصالح الفقراء والمساكين.

وجرى الأمر على هذا المنوال حتى زمن الخليفتين عثمان وعلي رضي الله عنهما ، وكذلك في زمن معاوية رضي الله عنه. فلما تولى عبد الله بن الزبير – ابن أخت عائشة رضي الله عنها – خلافة الحجاز بعد

= ٦٢٩/١ برقم ٢٥٣٧، والبيهقي في السنن الكبرى ٨١/٦ برقم ١١٢١٧ والطبراني في المعجم الأوسط ١٤٧/١ برقم ٤٦٦. وصححه الشيخ الألباني.

(١) أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: توفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد، إلا شطر شعير في رَفّ لي، فأكلت منه حتى طال عليّ، فكلته ففني.«كتاب فرض الخمس برقم ٣٠٩٧، وابن ماجه في سننه كتاب الأطعمة برقم (٣٣٤٥). ومسلم رقم (٢٩٧٣).

(٢) أخرج الحاكم عن مصعب بن سعد قال: فرض عمر لأمهات المؤمنين عشرة آلاف وزاد عائشة ألفين، وقال: إنها حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم. المستدرك ٩/٤ برقم ٦٧٢٣.
كما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٦١٤/٧ برقم ٣، ١٣، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٨٧/٢، ١٩٧/٢، وكذلك ابن سعد في الطبقات الكبرى ٦٧/٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المزارعة باب المزارعة بالشطر، حديث رقم ٢٣٢٨، ومسلم في صحيحه كتاب المساقاة برقم ١٥٥١.

معاوية رضي الله عنه كان هو المسؤول عن مصاريف خالته، فكانت لا تمسك شيئاً مما جاءها من رزق الله إلا تصدقت به[1].

العشرة الزوجيَّة ونظر الإسلام إلى المرأة مقارنة بنظر الشرق والغرب:

يتباين تفكير الغرب والشرق تجاه المرأة تبايناً واضحاً، فأهل الشرق يعتقدون أن حبها وصمة عار على جبين القداسة، ووظيفتها هي التقيد بحدود البيت وعدم التجاوز عنه. بينما يرى الغرب أنها الإله أو مثل الإله، ويعتبرون رضا المرأة رضا الله تعالى، ويقولون: إن أي مذهب أو دين إذا أعطى للمرأة كامل حقوقها ومكانتها الحقيقية فذلك أكبر دليل وأسطع برهان على كونه معقولاً ملائماً للعقل البشري السليم.

وتختلف وجهة نظر الإسلام تجاه المرأة عن النظرتين السابقتين حيث يسلك فيها طريقاً وسطاً عدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط، فكما أنه لا ينزلها منزلة الإله، فهو لا يعتبرها من سقط المتاع، أو حاجزاً وعائقاً في طريق الحياة، وقد أحسن الإسلام إذ عرّفها «أنها وسيلة للسكون، وذريعة لاطمئنان الإنسان في هذا العالم».

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[2].

ولسنا في هذه المعالجة بصدد الحديث عن مكانة المرأة في الإسلام وحقوقها، وإنما الذي نقصد إليه هو إبراز جوانب العلاقات الزوجية، والعشرة الزوجية العملية في حياة عائشة رضي الله عنها.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب مناقب قريش، برقم ٣٥٠٥.

(٢) سورة الروم الآية «٢١».

يقول الحبيب المصطفى ﷺ :«خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[(١)] وخير تصديق عملي لهذا الحديث الشريف هو أن عائشة رضي الله عنها دامت حياتها الزوجية زهاء تسع سنين، ومن الحق أن توصف بأنها حياة زوجية سعيدة، ولا نعرف بين أزواج الهداة والعظماء من ظفرت بأسعد منها أو كانت أرضى من عائشة رضي الله عنها عن حياتها، فنرى أنه في طوال هذه السنين لم تمتزج هذه الحياة قط بكدر أو مساءة، ولم يعكّر صفاء علاقتها بالنبي ﷺ طيلة حياتها في كنفه سوى واقعة الإيلاء، فكانت الحياة يسودها أسمى معاني الحب، وجوّ المودة واللطف والمؤانسة والوفاء العالي، لاسيما إذا تصوّرنا ما كانت عليه الأسرة النبوية من عسر وشدة وشظف في العيش، والصبر على ضروراته، والقناعة، ومغالبة الهوى، والبعد عن الترف ونَعمة العيش، فتزداد قيمة هذا الإخلاص والمودة وتسمو مكانة الحب والوفاء.

مكانة عائشة رضي الله عنها عند الرسول ﷺ:

كانت عائشة رضي الله عنها من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ ، وكان الصحابة رضي الله عنهم أجمعين قد علموا حبه إياها وأقروا لها بذلك، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يُهْدِيَها إلى رسول الله ﷺ كانوا يتحرون يوم عائشة رضي الله عنها[(٢)]، وقد أثار ذلك غيرة أمهات المؤمنين، ووقعت الغيرة التي لا محيص منها بين الزوجات، فدَعَيْن فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأرسلنها إلى رسول الله ﷺ فقالت له: إن نساءك ينْشُدْنَك العدل في بنت أبي بكر، فكلَّمَتْه، فقال: «يا بنية ألا تحبين ما أحب؟ قالت: بلى، فرجَعَتْ إليهن فأخبرتهن، فقلن: ارجعي إليه فأبت أن ترجع»[(٣)]. ثم توسلن بأم سلمة رضي الله عنها أن تكلّم النبي ﷺ ، فلما دار

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٤٨٤/٩ برقم ٤١٧٧ و ٤٩١/٩ برقم ٤١٨٦، والترمذي في سننه كتاب المناقب برقم ٣٨٩٥، وابن ماجه في سننه كتاب النكاح برقم ١٩٧٧، والدارمي في سننه باب في حسن معاشرة النساء برقم ٢٢٦٠، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠٣/٤، والبيهقي في السنن الكبرى ٤٦٨/٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الهبة برقم ٢٥٨١، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٤٤١، والترمذي في سننه كتاب المناقب برقم ٣٨٧٩.

(٣) صحيح البخاري كتاب الهبة برقم ٢٥٨١. ومسلم ح (٢٤٤١- ٢٤٤٢).

عليها كلَّمَتْه، فقال:«لا تؤذيني في عائشة، فإنه لم ينزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن إلا في لحاف عائشة»[١].

وأهديت للنبي ﷺ ذات مرة هدية فيها قلادة من جزع، فقال: «لأدفعنّها إلى أحبّ أهلي إليَّ»، فقالت النساء: ذهبت بها ابنة أبي قحافة، لكن حُبّ النبي ﷺ الزكي الطاهر الخالص لم يظهر قط في لمعان الزينة الظاهرية وروعة المجوهرات الغالية، دعا أمامة بنت زينب فعلّقها في عنقها[٢].

وهذا عمرو بن العاص رضي الله عنه قد بعثه النبي ﷺ على جيش ذات السلاسل، فلما أتى سأل: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقال من الرجال؟ فقال أبوها»[٣].

دخل مرة عمر رضي الله عنه على حفصة فقال: «يا بنية لا يغرّنك هذه التي أعجبها حسنها حب رسول الله ﷺ إياها، يريد عائشة»[٤]. ومرة شرد بها الجمل أثناء الطريق، فقلق النبي ﷺ وهو يقول «واعروساه»[٥].

ودخل النبي ﷺ في بيتها قالت: وارأساه! فقال رسول الله ﷺ: «بل أنا وارأساه»، ومنذ ذلك الحين بدأ مرض النبي ﷺ الذي توفي فيه[٦].

---

(١) صحيح البخاري كتاب المناقب برقم ٣٧٧٥، سنن النسائي كتاب عشرة النساء برقم ٣٩٥٠، سنن الترمذي كتاب المناقب ٣٨٧٩.

(٢) أخرجه الإمام احمد في مسنده ١٠١/٦ برقم ٢٤٧٤٨ و ٢٦١/٦ برقم ٢٦٢٩٢. وضعَّفه الشيخ شعيب.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب برقم ٢٦٦٣ وكتاب المغازي برقم ٤٢٥٨، ومسلم كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٣٨٤، والترمذي في سننه كتاب المناقب برقم ٣٨٨٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب حبّ الرجل بعض نسائه برقم ٥٢١٨، ومسلم في صحيحه كتاب الطلاق برقم ١٤٧٩، والترمذي كتاب تفسير القرآن برقم ٣٣١٨.

(٥) أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج مع النبي ﷺ، فلما كنّا بالحرّة، انصرفنا وأنا على جمل، وكان آخر العهد منهم، وأنا أسمع صوت النبي ﷺ وهو بين ظهري ذلك السّمر، وهو يقول: واعروساه..... الحديث ٢٤٨/٦ برقم ٢٦١٥٥. وضعَّفه الشيخ الأرناؤوط.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المرضى برقم ٥٦٦٦، وابن حبان في صحيحه باب مرضى النبي ص ٥٥١/١٤ برقم ٦٥٨٦، الدارمي في سننه باب وفاة النبي ﷺ برقم ٨٠.

وكان ﷺ يتفقد في مرض موته – وفي رواية «ليتعذر» – أين أنا اليوم، أين أنا غداً، استبطاءً ليوم عائشة[1]، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها، قالت عائشة: «فمات في اليوم الذي كان يدور عليّ في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحّري»[2].

كان النبي ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: « اللهم هذه قسمتي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك، ولا أملك»[3] «يعني به حب عائشة».

سبب حُبّه ﷺ لعائشة رضي الله عنها:

لم يكن حب النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها وتفضيلها كان لحسنها وجمالها وهذا مرفوض إطلاقاً، لان غيرها من الأزواج المطهّرات أمثال زينب وجويرية وصفية رضي الله عنهن، أيضاً كُنَّ ذوات حُسن وجمال، نعم كانت عائشة ذات حُسن ومما يدل على ذلك ما قاله عمر رضي الله عنه لحفصة رضي الله عنها «لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها حب رسول الله ﷺ إياها»[4] فلما سمع النبي ﷺ ذلك تبسّم، غير أن السبب الحقيقي هو ما روته عائشة رضي الله عنها نفسها[5]، ورواه أبو هريرة رضي الله عنه كما في صحيح مسلم وسنن أبي داود أن الرسول ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز برقم ١٣٨٩، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٤٤٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي برقم ٤٤٥٠.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب النكاح برقم ١١٤٠، وأبو داود في سننه كتاب النكاح برقم ٢١٣٤، وابن ماجه في سننه كتاب النكاح برقم ١٩٧١، والنسائي في سننه كتاب عشرة النساء برقم ٣٩٤٣، والدارمي في سننه كتاب النكاح برقم ٢٢٠٧. وضعفه الشيخ الألباني.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح برقم ٥٢١٨، ومسلم في صحيحه كتاب الطلاق برقم ١٤٧٩، والترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن برقم ٣٣١٨.

(٥) رواية عائشة رضي الله عنها أخرجها الإمام أحمد في مسنده ١٥٢/٦ برقم ٢٥٢٣٢، وفيه: «تزوج المرأة لثلاث، لمالها وجمالها ودينها، فعليك بذات الدين تربت يداك». وصححه الشيخ شعيب.

يداك»[١]. وبالتالي فأحب نساء النبي ﷺ هي: مَن تكون أنفع لخدمة الدين ونشر الإسلام من غيرها.

والشيء الذي يميّز أم المؤمنين عائشة ﵂ على غيرها من أمهات المؤمنين هو بلوغ علمها ذروة الإحاطة والنضج في كل ما اتصل بالدين من قرآن وتفسير وحديث وفقه، والنظر في دقائق المسائل، واستنباط الأحكام للوقائع الجديدة، والاضطلاع فيها، فكان من الطبيعي أن تكون هي أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من غيرها[٢].

روى أصحاب الكتب الستة عن أبي موسى الأشعري ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء: إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[٣]. وهذا الحديث خير دليل على الباعث الحقيقي والسبب الواقعي الذي من أجله كان النبي ﷺ يحب عائشة ﵂ ويكرمها، ويرفع من مكانتها هل كان ذلك من أجل الحُسن والجمال الظاهري، أو بسبب الفضل والكمال الباطني، والتي تلي عائشة لفي الكمالات الداخلية والفضائل والمناقب هي أم سلمة ﵂، ولهذا فإنها كانت محبوبة لدى الرسول ﷺ رغم كِبَر سِنّها، وها هي خديجة ﵂ قد توفيت وهي بنت خمس وستين سنة، لكنها شغلت قلب النبي ﷺ بعد وفاتها، فم يزل يذكرها، وهو شديد الكَلَف

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح برقم ٥٠٩٠، الترمذي في كتاب النكاح برقم ١٠٨٦، وأبو داود في سننه كتاب النكاح برقم ٢٠٤٧. ومسلم في صحيحه كتاب الرضاع برقم ١٤٦٦.

(٢) هذا كله كان بعد وفاة النبي ﷺ فتعليق حب النبي لها فيه نوع اشكال وتكلّف، ولو قيل بأن هذا الحب كان أولاً فطرياً ثم لمكانة الصِّدِّيق منه ثم لظهور علامات الذكاء والنباهة عليها وحرصها على التعلم وسرعتها في ذلك لكان أولى مما ذكر المؤلف.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء برقم ٣٤١١، ٣٤٣٤، وكتاب المناقب برقم ٣٧٦٩، وكتاب الأطعمة برقم ٥٤١٨، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٤٣١، والترمذي في سننه كتاب الأطعمة برقم ١٨٣٤، وابن ماجه في سننه كتاب الأطعمة برقم ٣٢٨٠.

بها والتطلع إليها، حتى أثار ذلك غيرة عائشة رضي الله عنها[١]، وكان رسول الله ﷺ – على حِلمه – ربما يغضب أحياناً من ثورتها على ذكرى خديجة[٢].

مكانة النبي ﷺ عند عائشة رضي الله عنها:

شغف قلب السيدة عائشة رضي الله عنها بالنبي ﷺ وأحبته حباً ملك عليها زمام أمرها وتعددت مشاربه فكانت تحبه حب المسلمة لنبيها وحب الزوجة لزوجها، كما كانت معجبة بأدبه وعظمة قدره.

كما عاشرته بروحها وطويتها. ومن شدة حبها له ﷺ أنها لو استيقظت من النوم ولم تجده جنبها يصيبها القلق والاضطراب، تقول:«كنت نائمة إلى جنب رسول الله ﷺ ففقدته من الليل، فلمسته بيدي، فوضعت يدي على قدميه وهو ساجد يقول: أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[٣]. كما تحكي لنا قصة أخرى فتقول: افتقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة، فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه، فتحسست ثم رجعت فإذا هو راكع أو ساجد

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب ٣٨١٦، ٣٨١٧، ٣٨١٨، و مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، ولقد هلكَتْ قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لما كنت أسمعه يذكرها..... الحديث كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٤٣٥، والترمذي في سننه كتاب البرّ والصلة برقم ٢٠١٧ و ٣٨٧٥، ٣٨٧٦، وابن ماجه في سننه كتاب النكاح برقم ١٩٩٧.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٤٣٥ وفيه قول عائشة رضي الله عنها: فأغضبته يوماً، فقلت: خديجة، فقال رسول الله ﷺ: إني قد رزقت حبَّها. وأخرجه ابن حبان في صحيحه ٤٦٧/١٥ برقم ٧٠٠٦، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ١٤٧/١ برقم ٢١٩ ط: جدة، المملكة العربية السعودية.

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ كتاب النداء للصلاة برقم ٤٩٧، كما أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة برقم ٤٨٦، والترمذي في سننه كتاب الدعوات برقم ٣٤٩٣، وأبو داود في سننه كتاب الصلاة برقم ٨٧٩، وابن ماجه في سننه كتاب الدعاء برقم ٣٨٤١، قوله:«والبيوت يومئذٍ ليس فيها مصابيح» أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة برقم ٥١٣، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة برقم ٥١٢، والنسائي في سننه كتاب الطهارة برقم ١٦٨.

يقول: «سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت، فقلت: بأبي أنت وأمي، إني لفي شأن وإنك لفي آخر»[١].

نماذج من غَيْرة عائشة رضي الله عنها على الرسول ﷺ:

كذلك فقدته ذات ليلة وقد مضى من الليل نصفه، فبدأت تبحث عنه، حتى وجدته في البقيع، وهو رافع يديه يدعو ربه، فانحرفت، فلما سألها النبي ﷺ :«فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟ فقالت نعم»[٢].

وكان النبي ﷺ إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعة لعائشة وحفصة. وكان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث، فقالت لها حفصة: ألا تركبين الليلة بعيري؟ وأركب بعيرك؟ تنظرين وأنظر؟ فقالت: بلى، فركبت، فجاء النبي ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة، فسلّم عليها ثم سار، حتى نزلوا، وافتقدته عائشة، فلما نزلوا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة برقم ٤٨٥، والنسائي في سننه كتاب التطبيق برقم ١١٣١.

(٢) تعددت الألفاظ لهذا الحديث إلا أن فحواها واحد، وقد أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كانت ليلتي التي هو عندي - تعني النبي ﷺ - انقلب فوضع نعليه عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه، فلم يلبث إلا ريثما ظنّ أني قد رقدت، ثم انتعل رويداً، وأخذ رداءه رويداً، ثم فتح الباب رويداً، وخرج رويداً، وجعلت درعي في رأسي واختمرت، وتقنّعت إزاري، وانطلقت في إثره، حتى جاء البقيع فرفع يديه ثلاث مرات، فأطال، ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضرت وسبقته، فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت، فدخل فقال: مالك يا عائشة حشياً رابية، قالت: لا، قال: لتُخْبِرِيني أو ليُخْبِرَنّي اللطيف الخبير، قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمّي فأخبرتُه الخبر، قال: فأنت السّواد الذي رأيت أمامي؟ قالت: نعم....الحديث.
أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز برقم ٩٧٤، والنسائي في سننه كتاب الجنائز برقم ٢٠٣٧ وفي كتاب عشرة النساء برقم ٣٩٦٣/٣٩٦٤، وأخرجه ابن ماجه مختصراً في سننه كتاب ما جاء في الجنائز برقم ١٥٤٦، وكتاب إقامة الصلاة والسنة فيها برقم ٣٨٩، والترمذي في سننه كتاب الصوم برقم ٧٣٩.

جعلت رجليها بين الإذخر، وتقول: «يا رب سلّط عليّ عقرباً، أو حية تلدغني، ولا أستطيع أن أقول له شيئاً»[(١)].

وإذا تأملنا في الفقرة الأخيرة من الحديث تبيّنَ لنا مدى غيرتها الشديدة، والمنافسة القوية التي كانت فيما بين الضرائر.

ولما آلى النبي ﷺ من نسائه لمدة شهر وأقام في مشربة له عند حجرة عائشة، واعتزلهن، كان لهذا أثر عميق على أمهات المؤمنين، وإذا هن يبكين من شدة ما أصابهن من حزن وقلق، حتى لم تستطع إحداهن أن تدخل عليه من دون أذن، وعائشة لكانت تعدّ الشهر عداً تنتظر انتهاءه، فلما كمل الشهر أول ما بدأ النبي ﷺ بدأ بعائشة رضي الله عنها[(٢)].

هذا وقد كانت أمهات المؤمنين على درجات متفاوتة من الناحية الاقتصادية في بيوت آبائهن، فبعضهن كُنّ من الأسر الثرية ذات الأموال والخيرات، وكنّ تربَّيْن في الترف ونعمة العيش، فنازعن النبي ﷺ، وألحفن عليه بطلب المزيد من النفقة والزينة، فنزلت آية التخيير[(٣)]، فخيّرهن النبي ﷺ بين التسريح والصبر على نصيبهن، فاخترن أجمل النصيبين بهن، وهو الصبر على سنّة الأنبياء، ورضين بهذه الحياة النبوية بكل فرح وسرور وسعادة، فبدأ النبي ﷺ بعائشة أول امرأة من نسائه كلهن[(٤)]، فاختارته وقالت:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح، برقم ٥٢١١، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٤٤٥، وابن ماجه في سننه الجزء الأول من الحديث كتاب النكاح برقم ١٩٧٠. واللفظ للبخاري.

(٢) يراجع: صحيح البخاري كتاب النكاح برقم ٥١٩١، وكتاب المظالم والغصب برقم ٢٤٦٨، ومسلم كتاب الطلاق برقم ١٤٧٩.

(٣) وهي قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ سورة الأحزاب الآية «٢٨-٢٩».

(٤) انظر: صحيح البخاري كتاب المظالم والغصب برقم ٢٤٦٨ وكتاب تفسير القرآن برقم ٤٧٨٦.

«يا رسول الله لا تخبر أزواجك أني اخترتك»[١]، وهنا تظهر غيرتها واستئثارها به ﷺ دون غيرها، وذلك لكي تنال فضل التقدم في الاختيار، وفي كلامها هذا إيحاء إلى الطبيعة النسائية وفطرة المرأة التي جبلَت عليها. وفي نهاية أيام هذا الحادث نزلت آية الإرجاء[٢]، حيث خُيّر النبي ﷺ بإبقاء مَن أراد من أزواجه في كنفه، ومفارقة الأخريات، إلا أنه ﷺ لم يرضَ بمفارقة أيٍّ واحدة منهن، نظراً لما كان يحمل ﷺ بين جنبيه من الرحمة والشفقة والحب والوفاء للأزواج المطهّرات.وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: «إن كان ذاك إليّ فإنّي لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحداً»[٣].

مداراة الزوجة:

لقد جعل الله سبحانه وتعالى من حياة النبي ﷺ أسوة حسنة للمجتمع الإنساني بأكمله، وكان ﷺ خير الأزواج وألطفهم بأهله، فلم يعهد عنه ﷺ أنه عنفهن أو اشتد عليهن، بل كان بهن رفيقاً رحيماً، يترضاهن إذا غضبن، ويعاملهن معاملة كريمة بأقصى غاية من المودة والمحبة، حرصاً منه على إكرامهن، وتعليماً لأمته كيف يتعامل الأزواج مع زوجاتهم.

سبق أن ذكرنا أنه ﷺ كان يتعاهد عائشة بما يسرّها، ويفرح حتى بلعبتها، كانت عائشة قد ربت في حضنها جارية من الأنصار، فلما حان عرسها زوّجتها عائشة رضي الله عنها بكل بساطة دون أي غناء أو لهو، فلما رأى النبي ﷺ ذلك قال: «يا عائشة ما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو»[٤].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الطلاق برقم ٣٥- ١٤٧٥ بلفظ «لا تخبر نساءك»، وأخرجه الترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن برقم ٣٣٨.

(٢) وهي قوله تعالى ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ سورة الأحزاب الآية «٥١».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن برقم ٤٧٨٩، ومسلم في صحيحه كتاب الطلاق برقم ١٤٧٦، وأبو داود في سننه كتاب النكاح برقم ٢١٣٦.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح برقم ٥١٦٢، وأخرجه أحمد في مسنده بلفظ «كانت في حِجْري جارية من الأنصار فزوجتها، قالت: فدخل عليّ رسول الله ﷺ يوم عرسها، فلم يسمع =

وكان الأحباش يلعبون بحرابهم بمناسبة أفراح العيد، فأرادت عائشة رضي الله عنها أن تنظر إلى لعبهم، فسترها النبي ﷺ بردائه وهي تشاهد لعبهم، تقول رضي الله عنها: «رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا التي أسأم»[1].

وربما مرّ أبوها رضي الله عنه بالبيت فيسمع صوتها عالياً في حضرة النبي ﷺ، فيدخل غاضباً يتناولها ليلطمها وينهرها قائلاً: لا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ، فجعل النبي ﷺ يحجزه، وخرج أبو بكر مغضباً، فقال النبي ﷺ حين خرج أبو بكر: «كيف رأيتني أنقذتك من الرجل؟!»[2].

وجاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا عائشة تعرفين هذه؟ قالت: لا، يا نبي الله، قال: هذه قَيْنة بني فلان، تحبين أن تغنّيك؟ قالت: نعم، فأعطاها طبقاً، فغنّتها، فقال النبي ﷺ: قد نفخ الشيطان في مِنْخريها»[3].

ومعنى ذلك أن النبي ﷺ كره مثل هذه الأغاني.

= لعباً، فقال: يا عائشة إن هذا الحيّ من الأنصار يحبون كذا وكذا » رواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ٢٦٩/٦ برقم ٢٦٣٥٦، كما أخرجه ابن حبان في صحيحه ١٨٥/٣، وهو في موارد الظمآن للهيثمي ٤٩٣/١ برقم ٢٠١٦.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح برقم ٥١٩٠ / ٥٢٣٦، ومسلم في صحيحه كتاب صلاة العيدين برقم ٨٩٢، والنسائي في سننه كتاب صلاة العيدين برقم ١٥٩٤ و ١٥٩٥.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب برقم ٤٩٩٩، والنسائي في السنن الكبرى ١٣٩/٥ برقم ٨٤٩٥ و ٩١٥٥. وضعف إسناده الشيخ الألباني.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤٤٩/٣ حديث السائب بن يزيد، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٠/٨: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٥٨/٧ برقم ٦٦٨٦. وصحح إسناده الشيخ شعيب.

الملاطفة والمؤانسة:

من لطفه ﷺ بعائشة رضي الله عنها وعطفه عليها أنه كان يمازحها ويضاحكها ويسْمَر معها مستمعاً إلى أحاديثها ملاطفة لقلبها، وإرضاءً لخاطرها، وذات مرة ذكر «خُرافة» أثناء الحديث، فسألها النبي ﷺ:«أتدرين ما خرافة؟ إن خرافة كان رجلاً من أهل عذرة، أَسَرتْه الجن في الجاهلية، فمكث فيهم دهراً طويلاً، ثم ردوه إلى الأنس، فكان يحدِّث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب، فقال الناس: حديث خرافة»[1].

وكان ﷺ يسمر معها مستمعاً إلى أحاديثها، وذات مرة حدثته عائشة رضي الله عنها حديث أم زرع قالت: جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً، قالت الأولى: زوجي لحمُ جملٍ غثّ على رأس جبل، لا سهل فيُرتقى، ولا سمين فيُنتقل، قالت الثانية: زوجي لا أبثّ خبره، إنّي أخاف أن لا أذَرَه، إنْ أذكُرْه أذكر عُجَره وبُجَره، قالت الثالثة: زوجي العَشنَّق، إن أنطق أُطلّق، وإن أسكُتْ أُعلّق، قالت الرابعة: زوجي كَلَيْلِ تهامة لا حَرّ ولا قرّ، ولا مخافة ولا سآمة، قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يُسأل عمّا عهد، قالت السادسة: زوجي إن أكل لفّ، وإن شرب اشتفّ، وإن اضطجع التفّ، ولا يُولج الكفّ ليعلم البثّ، قالت السابعة: زوجي غياياء أو عياياء طباقاء، كلّ داء له داء، شجّك أو فلّك أو جمع كُلّاً لك، قالت الثامنة: زوجي المسُّ مسُّ أرنب، والريحُ ريح زرنب، قالت التاسعة: زوجي رفيع العِماد، طويل النِّجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من النّاد، قالت العاشرة: زوجي مالك، وما مالك؟ مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك، قليلات المسارح، وإذا سمعن صوت المزهر أيقنّ أنّهن هوالك، قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع، وما أبو زرع، أناسَ من حليّ أذنيّ، وملأ من شحم عَضُديّ وبجّحني فبجَحتْ إليّ نفسي، وجدني في أهل غنيمة بشقٍّ، فجعلني في أهل صهيل وأطيط ودائس ومُنقّ، فعنده أقول فلا أقبّح، وأرقد فأتصبّح، وأشرب فأتقنّح، أمُّ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٥٧/٦ برقم ٢٥٢٨٣، وهو في مجمع الزوائد للهيثمي ٣١٥/٤، والطبراني في المعجم الكبير ٥٦/٦ – ١٥٥ برقم ٦٠٦٩، وإسحاق بن راهويه في مسنده ٨٠١/٣ برقم ١٤٣٦، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ٤١٩/٧ برقم ٤٤٤٢. وضعف إسناده الشيخ شعيب وحسين سليم أسد.

أبي زرع، فما أم أبي زرع؟ عكومها رداح، وبيتها فساح، ابن أبي زرع، فما ابن أبي زرع مضجعه كمسل شطبة ويشبعه ذراع الجفرة، بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع؟ طوع أبيها وطوع أمّها، وملء كسائها وغيظ جارتها، جارية أبي زرع، فما جارية أبي زرع؟ لا تبث حديثنا تبثيثاً، ولا تنقّث ميرتنا تنقيثاً، ولا تملأ بيتنا تعشيشاً، قالت: خرج أبو زرع والأوطاب تُمخض، فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين، يلعبان من تحت خصرها بُرمّانتين، فطلقني ونكحها، فنكحتُ بعده رجلاً سرياً ركب شرياً وأخذ خطيّاً، وأراح علي نعماً ثريّاً، وأعطاني من كل رائحة زوجاً، وقال: كُلي أمَّ زرع وميري أهلك، قالت: فلو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع، قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ «كنت لك كأبي زرع لأم زرع»[١].

وفي الوقت الذي يكون ﷺ مشغولاً في السمر مع أهله فإذا سمع النداء كان يسرع إلى الصلاة، تقول عائشة رضي الله عنها: «كان يكون في مهنة أهله، فإذا سمع الأذان خرج»[٢]، وفي رواية: قالت عائشة: «كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح برقم ٥١٨٩، والإمام مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٤٤٨، وقد عزا النسائي هذه القصة إلى النبي ﷺ قائلاً: ثم أنشأ رسول الله ﷺ يحدث أن إحدى عشرة امرأة.... الحديث، السنن الكبرى للنسائي ٣٥٩/٥ برقم ٣١٣٩، وكذلك أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣١٧/٤.

(٢) صحيح البخاري كتاب النفقات برقم ٥٣٦٣.

(٣) مرسل ضعيف أخرجه الأزدي في الضعفاء، وذكره الغزالي في إحاء علوم الدين ١٤٥/١ كتاب أسرار الصلاة.

المُؤاكلة:

كان النبي ﷺ وعائشة رضي الله عنها يتناولان الطعام من قصعة واحدة، والحديث الآتي يوضّح لنا مدى حبه ﷺ لعائشة حتى في الأكل، تقول رضي الله عنها: «كنت أتعرق العظم وأنا حائض فأعطيه النبي ﷺ، فيضع فمه في الموضع الذي فيه وضعته، وأشرب الشراب فأناوله، فيضع فمه في الموضع الذي كنت أشرب منه»[(١)].

وذات ليلة كان النبي ﷺ يتعشى مع عائشة رضي الله عنها في حجرتها إذ دخلت عليه أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها وهي تشكو عمر، أنه يمنعها من الخروج حتى لقضاء الحوائج[(٢)]. وكانا يمسكان قطعة واحدة من اللحم، لأنه لم يكن مصباح في البيوت يومئذٍ[(٣)].

كان لرسول الله ﷺ جار فارسي وكان طيّب المَرَق فصنع لرسول الله ﷺ ثم جاء يدعوه، فقال: وهذه – لعائشة –؟ فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: لا. فعاد يدعوه، فقال رسول الله ﷺ: وهذه؟ قال: لا، قال رسول الله ﷺ: لا، ثم عاد يدعوه، فقال رسول الله ﷺ: وهذه؟ قال: نعم في الثالثة، فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله[(٤)].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الحيض برقم ٣٠٠، كما أخرجه الإمام أبو داود في السنن، كتاب الطهارة باب مؤاكلة الحائض برقم ٢٥٩، والنسائي في سننه معضلاً كتاب الطهارة برقم ٢٧٩ وكتاب الحيض برقم ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٠، وابن ماجه في سننه كتاب الطهارة برقم ٦٤٣.

(٢) أصل الحديث في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت سودة بنت زمعة ليلاً فرآها عمر فعرفها فقال: إنك والله يا سودة ما تخفين علينا، فرجعت إلى النبي ﷺ فذكرت ذلك له وهو في حجرتي يتعشى وإن في يده لعرقاً، فأنزل الله عليه فرفع عنه وهو يقول: قد أذن الله لكنّ أن تخرجن لحوائجن.«كتاب النكاح باب خروج النساء لحوائجهن برقم ٥٢٣٧، وأخرج جزءاً منه مسلم في صحيحه كتاب السلام برقم ٢١٧٠».

(٣) أشار به المؤلف إلى الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن حميد بن هلال قال: قالت عائشة: بعث إلينا آل أبي بكر بقائمة شاة ليلاً فأمسك رسول الله ﷺ وقطعت او أمسكت وقطع... الحديث ٢١٧/٦ برقم ٢٥٨٦٧، كما أخرجه إسحاق ابن راهويه في مسنده ٩٦٦/٣ برقم ١٦٨٢، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٤٠٤/١. وضعف إسناده الشيخ شعيب.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الأشربة رقم ٢٠٣٧، والنسائي في سننه كتاب الطلاق برقم ٣٤٣٧.

الصحبة في السفر:

كان من الصعب أن تصحب جميعُ أمهاتِ المؤمنين النبي ﷺ في السفر، كما أن ترجيح بعضهن على بعض أيضاً يكون خلاف العدل الذي أمر به الله تعالى، ولذا فإن النبي ﷺ إذا أراد السفر أقرع بين نسائه، فأيتهن يخرج سهمها خرج بها النبي ﷺ[١]. وعلى هذا نالت عائشة رضي الله عنها شرف صحبة النبي ﷺ في عدد من أسفاره، وقد ثبت في الأحاديث أنها تشرفت بصحبة النبي ﷺ في غزوة بني المصطلق[٢]، ومن الأسفار كذلك السفر الذي حدث فيه قصة ركوب حفصة على بعير عائشة وركوب عائشة على بعير حفصة كما سبق أن ذكرنا.

كما ثبت في الحديث السفرُ الذي سابقت فيه عائشةُ رسولَ الله ﷺ[٣].

وكان في غزوة بني المصطلق من الحوادث قصتان عجيبتان، وكلتاهما كانتا شرفاً سرمدياً وسعادة أبدية، أكرم الله تعالى بهما عائشة رضي الله عنها، فالأولى منهما كانت سبباً لنزول حكم التيمّم، والأخرى فيها قانون براءة المحصنات الغافلات من النساء – كما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الهبة برقم ٢٥٩٤، وكتاب الشهادات برقم ٢٦٦١، ٢٦٨٨، وكتاب الجهاد والسير برقم ٢٨٧٩، وكتاب النكاح ٥٢١١، صحيح مسلم كتاب التوبة برقم ٢٧٧٠.

(٢) غزوة بني المصطلق كانت في شعبان من السنة السادسة، وقيل: كانت في شعبان من السنة الخامسة، والأول أصح، وهو قول ابن إسحاق وغيره، غزا فيها النبي ﷺ بني المصطلق من خزاعة، واستعمل على المدينة أبا ذر رضي الله عنه، وقيل: نميلة بن عبد الله الليثي، وكان شعار المسلمين يومئذٍ أمت أمت، وكان من السبي جويرية بنت الحارث، وقعت في سهم ثابت بن قيس، فكاتبها، فأدى عنها النبي ﷺ وتزوجها، فصارت أماً للمؤمنين، وكان في هذه الغزوة من الحوادث قصة الإفك «راجع أحداث حادثة الإفك في تاريخ الطبري، البداية والنهاية، زاد المعاد في هدي خير العباد».

(٣) أشار المؤلف إلى الحديث الذي أخرجه أصحاب السنن والمسانيد عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر، وقالت: فسابَقْتُه فسَبَقْتُه على رجلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني، فقال: هذه بتلك.أخرجه أبو داود في سننه برقم ٢٥٧٨، وابن حبان في صحيحه ٤٥٤/١٠ برقم ٤٦٩١، والإمام أحمد في مسنده ١٦٤/٦ برقم ٢٦٣٢٠، والبيهقي في السنن الكبرى ١٧/١٠ و ١٨/١٠. وصححه الشيخ الألباني والأرناؤوط.

سيأتي في الفصل الرابع-. وتدل رواية الإمام أحمد في «المسند» أن عائشة رضي الله عنها كانت خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر الحديبية، أما حجة الوداع فمعظم أمهات المؤمنين كن مع النبي صلى الله عليه وسلم فيها، ومنهنّ عائشة رضي الله عنها.

الدلال:

إن خصائص المرأة ومميزاتها النسوية تحمل في طياتها بحراً زاخراً تتبلور فيه موجات الحب والمودة والوفاء والملاطفة بأسمى معانيها وأحلى أشكالها، ومما لا شك فيه أن من الأنثويات الخالدة في طبيعة المرأة دلالها ومغاضبتها، وهي أشوق ما تكون إلى المصالحة وتقصير أمد المغاضبة، وقد يُشكل ذلك على عامة الناس حيث إنهم ينظرون إلى ما ورد في كتب الأحاديث مما يدل على الدلال والمغاضبة، ويرون في مخاطبة الرسول أزواجه بهذا الأسلوب أنه خطاب من الرسول لأمته، وينسون أنها زوجة تخاطب زوجها، أو زوجاً يخاطب زوجته، ولذا ينبغي بل يجب أن تدرس أمثال هذه الوقائع التي سجّلتْها كتب الأحاديث في بطونها، بالطريقة الصحيحة، وتحمل على محملها الصحيح.

ومن هذا قول عائشة رضي الله عنها: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقول: أتهب المرأة نفسها، فلما أنزل الله تعالى ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾[1] قلت: ما أرى ربّك إلا يسارع في هواك[2]. فلم يكن قصد عائشة رضي الله عنها من ذلك الاعتراض أو الإشكال، وإنما كان ذلك نوعاً من التدلل والدعابة والانبساط من الزوجة لزوجها.

والكل يعرفون معنى كلام عائشة رضي الله عنها، وهو أن الله عز وجل يحقّق كل ما يتمناه حبيبه ويشتهيه، ويكون الهدف من وراء ذلك هو تثبيت قلبه وإحكامه على عمل الدعوة.

---

(١) سورة الأحزاب الآية«٥١».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن برقم ٤٧٨٨، ومسلم في صحيحه كتاب الرضاع برقم ١٤٦٤، والنسائي في سننه كتاب النكاح برقم ٣١٩٩، وابن ماجه في سننه كتاب النكاح برقم ٢٠٠٠.

إلا أننا رأينا أن النبي ﷺ لم تتغير عادته حتى بعد آية التخيير، فكان ﷺ يستأذن أزواجه كلهن في نوبتهن ودورهن، تقول عائشة: «إن الرسول ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن أُنزلت هذه الآية ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ﴾[1].

غيرتها رضي الله عنها من خديجة رضي الله عنها ونماذج من تدللها:

كان النبي ﷺ يذكر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها كثيراً، نظراً للمقام الرفيع الذي كانت تحتله في قلب الرسول ﷺ، ولم يُعرف أنه حزن على أحد قط أشد من حزنه على خديجة رضي الله عنها، ولا أطال الذكر لأحد قط بعد وفاته كما أطال ذكرها.

وذات مرة كان النبي ﷺ يذكرها فقالت عائشة: «كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول: إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد»[2].

وفي رواية عند أحمد قالت عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت، فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله عز وجل بها خيراً منها، قال: ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها، إذ حرمني أولاد النساء»[3].

وأصيبت عائشة رضي الله عنها مرة بالصداع في رأسها فقالت: وارأساه، فقال النبي ﷺ: بل أنا وارأساه- فكان ذلك ابتداء الوجع الذي توفّي فيه – ثم قال النبي ﷺ: ما ضرك لو

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن برقم ٤٧٨٩، ومسلم في صحيحه كتاب الطلاق برقم ١٤٧٦، وأبو داود في سننه كتاب النكاح برقم ٢١٣٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب رقم ٣٨١٨.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١١٧/٦ رقم ٢٤٩٠٨، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٤/٩، والطبراني في الكبير ١٣/٢٣ برقم ٢٢. وصححه الشيخ شعيب، وأصل الحديث في البخاري ح(٣٨٢٠) ومسلم (٢٤٣٧).

متِّ قبلي فغسّلتُكِ وكفّنتُكِ وصليت عليك ودفنتك، قالت: لكني، أو لكأني بك والله لو فعلتَ ذلك لقد رجعتَ إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك، قالت: فتبسّم النبي ﷺ[(١)].

وكانت رضي الله عنها تفتخر بكونها البكر الوحيدة بين سائر أزواج النبي ﷺ وتدل أحياناً – إدلال الحبيب – أمام النبي ﷺ فتقول: يا رسول الله أرأيت لو نزلت وادياً فيه شجرةٌ قد أُكل منها ووجدت شجراً لم يؤكل منها، في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: «في الذي لم يرتع منها». تعني أن النبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها[(٢)].

وفي واقعة الإفك – التي سيأتي ذكرها لاحقاً لما أنزل الله تعالى براءتها بالوحي قالت لها أمها: قومي إليه «تقصد النبي ﷺ»، فقالت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله ﷻ الذي أنزل في براءتي وحياً يُتلى إلى يوم القيامة[(٣)].

وذات مرة قال لها الرسول ﷺ: إني لأعلم إذا كنتِ عني راضية وإذا كنت عليّ غَضْبى، قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا وربّ محمد، وإذا كنت عليّ غَضْبى، قلت: لا ورب إبراهيم، قالت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المرضى برقم ٥٦٦٦ جُزء من الحديث، وأحمد واللفظ له ٢٢٨/٦ رقم ٢٥٩٥٠، وابن حبان في صحيحه ٥٥١/١٤ رقم ٦٥٨٦، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٩٦/٣ رقم ٥٤٥١، والنسائي في السنن الكبرى ٢٥٢/٤ رقم ٧٠٧٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه باب نكاح الأبكار برقم ٥٠٧٧، وابن حبان في صحيحه ١٧٤/١٠ برقم ٤٣٣١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي برقم ٤١٤، ومسلم في صحيحه كتاب التوبة برقم ٢٧٧٠، وأحمد في مسنده ٥٩/٦ برقم ٢٤٣٦٢.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب غيرة النساء ووجدهن برقم ٥٢٢٨، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٤٣٩، وابن حبان في صحيحه ٤٩/١٦ برقم ٧١١٢، والنسائي في السنن الكبرى ٣٦٥/٥ باب غضب المرأة على زوجها برقم ٩١٥٦، وأبو يعلى في مسنده ٢٩١/٨ برقم ٤٨٩٣.

القيام بالأعمال المنزلية:

رغم وجود الخادم في البيت فإن عائشة رضي الله عنها كانت تقوم بنفسها بخدمة الدار كلها وسائر حاجات النبي ﷺ فكانت تطحن الدقيق[١] بيدها، وتطبخ بنفسها[٢] وتفرّش[٣] المفارش وتحضِّر له[٤] الوَضوء، وتَفْتِل[٥] قلائد هَدْي النبي ﷺ بيديها، وترجّله[٦] بيدها،

---

(١) انظر الأدب المفرد للإمام البخاري ٥٥/١ برقم ١٢٠، ط: دار البشائر الإسلامية بيروت ١٤٠٩ هـ. وضعفه الشيخ الألباني.

(٢) انظر: حديث الإفك في صحيح البخاري كتاب المغازي برقم ٤١٤١، وصحيح مسلم كتاب التوبة برقم ٢٧٧٠.

(٣) انظر: الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية للإمام الترمذي ٢٧٠/١ برقم ٣٣٠ وفيه ذكر حفصة رضي الله عنها، ط: مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٤١٢ هـ.

(٤) أورده الإمام أحمد في مسنده ٦٨/٦ برقم ٢٤٤٣٢. وضعفه شعيب.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحج برقم ١٦٩٦، ١٦٩٩، ومسلم في صحيحه كتاب الحج برقم ١٣٢١، والنسائي في كتاب مناسك الحج برقم ٢٧٧٦، ٢٧٧٧، وأبو داود في سننه كتاب المناسك برقم ١٧٥٧، وابن ماجه في سننه كتاب المناسك برقم ٣٠٩٥.

(٦) انظر: صحيح البخاري كتاب الاعتكاف برقم ٢٠٢٨ – ٢٠٢٩، وصحيح الإمام مسلم كتاب الحيض برقم ٢٩٧، وسنن الترمذي كتاب الصوم برقم ٨٠٤، وأبو داود كتاب الصوم برقم ٢٤٦٧.

وتطيّبه[١]، وتغسل ثيابه[٢]، وتُعدّ له السّواك[٣] عند المبيت، وتغسل سواكه اهتماماً بنظافته[٤].

كما أنها كانت تقري الضيوف القادمين عليه صلى الله عليه وسلم في البيت، وتقوم بواجبهم، يقول الصحابي الجليل طخفة بن قيس الغفاري رضي الله عنه – وكان من أصحاب الصفة – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انطلقوا بنا إلى بيت عائشة رضي الله عنها فانطلقنا، فقال: يا عائشة أطعمينا، فجاءت بجشيشة، فأكلنا، .... ثم قال: يا عائشة اسقينا، فجاءت بعسّ من لبن فشربنا، ثم قال: يا عائشة اسقينا، فجاءت بقدح صغير فشربنا[٥].

الطاعة واتباع الأحكام:

مما لا شك فيه أن طاعة الزوج واتباع أوامره من أهم وآكد الواجبات على الزوجة، وحياة عائشة رضي الله عنها خير أسوة وأحسن قدوة لذلك، فإنه لم تعهد منها أية مخالفة لأي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحج برقم ١٥٣٩، ومسلم في صحيحه كتاب الحج برقم ١١٨٩، والترمذي في سننه كتاب الحج برقم ٩١٧، والنسائي في سننه كتاب الغسل والتيمم برقم ٤١٧، ٤٣١، وفي كتاب مناسك الحج برقم ٢٦٨٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوضوء بأرقام ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، والإمام أبو داود في كتاب الطهارة برقم ٣٨٨.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥٣/٦ برقم ٢٤٣١٤ في حديث طويل، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض برقم ٧٤٦، وابن خزيمة في صحيحه باب إباحة الوتر بسبع ركعات.... ١٤١/٢ برقم ١٠٧٨، ط: المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٠ هـ، ابن حبان في صحيحه ١٩٥/٦ برقم ٢٤٤١ ذكر وصف وتر المرء... والبيهقي في السنن الكبرى ١٧٣/١ برقم ٤٤٨، ابن ماجه في سننه باب ما جاء في الوتر...... برقم ١١٩١.

(٤) أخرجه الإمام أبو داود في سننه باب غسل السواك برقم ٥٢، والإمام البيهقي في السنن الكبرى باب غسل السواك ٣٩/١ برقم ١٦٨. وحسنه الألباني.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب رقم ٥٠٤٠، والإمام أحمد في مسنده ٤٢٦/٥ رقم ٣٦٦٦، وابن حبان في صحيحه ٣٥٨/١٢ رقم ٥٥٥٠، والنسائي في السنن الكبرى ١٦١/٤ رقم ٦٦٩٥، وانظر: الأحاديث المختارة للمقدسي ١٣٥/٨ – ١٣٤. وضعفه الشيخ الألباني والأرناؤوط، والجشيشة ما يطحن من الحب فيطبخ والعُس القدح الضخم.

حكم من أحكام النبي ﷺ طوال الفترة التي عاشتها في كنف النبي ﷺ التي امتدت إلى تسع سنين، لدرجة أنه لو خطر على بالها أو عرفت ولو بالتلميح أن الشيء الفلاني يُغضب الرسول ﷺ لتوقفت عنه فوراً وامتنعت منه كُلياً، تقول عائشة: «إنها اشترت نُمْرُقة فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب، فلم يدخل، فعرفت في وجهه الكراهية، قالت يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله ماذا أذنبت؟ قال: ما بال هذه النمرقة؟ فقالت: اشتريتها لتقعد عليها وتوسدها، فقال رسول الله ﷺ: إن أصحاب هذه الصور يعذَّبون يوم القيامة، ويقال لهم: أَحْيُوا ما خلقتم، وقال: إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة[1].

وها هو الصحابي الجليل ربيعة الأسلمي ﵁ قد تزوج، ولم يجد ما يولم به فجاء رسول الله ﷺ حزيناً، فقال: يا ربيعة مالك حزين؟ فقلت: يا رسول الله ما رأيت قوماً.....حديث طويل وفيه.... فقال لي رسول الله ﷺ: اذهب إلى عائشة فقل لها: فلتبعث بالمِكْتل الذي فيه الطعام، قال: فأتيتها فقلت لها ما أمرني به رسول الله ﷺ، فقالت: هذا المكتل فيه تسع آصع شعير، ولا والله إنْ أصبح لنا طعام غيره، خذه، فأخذته...... الحديث[2].

هذا وقد كانت جميع أمهات المؤمنين يقمن بهذه الطاعة وتنفيذ أوامره ﷺ مثل ما كانت تقوم به عائشة ﵂ في حياته ﷺ، إلا أن الطاعة الحقيقية والانقياد التام الأصلي هو القيام بهذا الواجب بعد وفاة النبي ﷺ، فيجب أن تنفذ كل أوامره وسائر أحكامه ﷺ بعد وفاته مثلها في حياته.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب اللباس باب التصاوير برقم ٥٩٦١، ومسلم في صحيحه كتاب اللباس والزينة برقم ٢١٠٧.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٨٨/٢ برقم ٢٧١٨، والإمام أحمد في مسنده ٥٨/٤ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٥٦/٤.

النبي ﷺ ربّاها على السخاء والكرم:

وقد سبق أن ذكرنا أن النبي ﷺ قد علّمها الجود، وربّاها على السخاء والكرم، فكان من فضل هذه التربية العظيمة والتعليم النبوي المبارك أنها عضّت بنواجذها على هذا الواجب الكبير ولم تتخلَّ عنه حتى أتاها اليقين.

كما مرّ بنا أنها استأذنت من الرسول ﷺ في الجهاد فقال لها الرسول ﷺ: «جهاد النساء الحج»، فلما سمعت بهذا التعليم النبوي قلما مضى عام ولم تحج فيه[١].

بعث إليها عبد الله بن عامر مرة بنفقة وكسوة، فقالت لرسوله: يا بنيّ إني لا أقبل من أحدٍ شيئاً، فلما خرج قالت: رُدّوه عليّ، فرَدُّوه، فقالت: إني ذكرت شيئاً قاله لي رسول الله ﷺ، قال: «يا عائشة من أعطاك عطاءً بغير مسألة فاقبليه، فإنما هو رزق عرضه الله لك»[٢].

ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر يوم عرفة على عائشة وهي صائمة يُرشّ عليها، فقال لها: أفطري، فقالت: أُفطر وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن صوم عرفة يكفّر العام الذي قبله»[٣].

ولما رأت عائشة رسول الله ﷺ يصلي الضحى، بدأت تواظب عليها، ولم تتركها قط، وكانت تقول: «لو أن أبي نُشر فنهاني عنها ما تركتها»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين قالت: قلت يا رسول الله ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال: لكنّ أحسنُ الجهاد وأجملُه: الحج حج مبرور، فقالت عائشة: فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ، باب حج النساء برقم ١٩١٦.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٧٧/٦ برقم ٢٤٥٢٤ و ٢٥٩/٦ برقم ٢٦٢٧٦، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠٠/٣، والبيهقي في السنن الكبرى ١٨٤/٦ برقم ١٨٢٣. وصححه الشيخ شعيب.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٢٨/٦ برقم ٢٥٠١٤، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد باب صيام يوم عرفة، ١٨٩/٣، وأصل الحديث وهو فضيلة صوم يوم عرفة موجود في كتب الصحاح والسنن، من دون قصة عائشة رضي الله عنها. والحديث ضعف إسناده الشيخ شعيب.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٣٨/٦ برقم ٢٥١٢٢، والنسائي في السنن الكبرى ١٨١/١ برقم ٤٨٢، ومالك في الموطأ ١٥٣/١ برقم ٣٥٨، وعبد الرزاق في مصنفه ٧/٤ برقم ٤٨٦٦.

التَعَايُشُ الزوجي:

كان بيت أم المؤمنين عائشة مسكناً ومأوى لسيد المرسلين ﷺ، حيث لم تكن الثروات الكبيرة ولا الأموال الهائلة ولا أغراض التنعم والعيش الهنيئ الرغيد، ولا هي كانت تبالي بهذه الأشياء الزائلة.

ومعلوم أن الإسلام دين يجمع بين الدين والدنيا، فما سبق في الصفحات الماضية من ذكر بعض الحقائق، وصور للجود والكرم والسخاء كانت علاقته بالفطرة البشرية والجِبلّة الإنسانية.

ونتحول الآن لكي نعيش حياته ﷺ ونطّلع على صور واقعية منها في ضوء الحقائق التالية:

تقول أم المؤمنين عائشة ﵂: كان رسول الله ﷺ إذا دخل البيت تَمَثّل: «لو كان لابن آدم واديان من مالٍ لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ فَمه إلا الترابُ، وما جعلنا المال إلا لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ويتوب الله على من تاب»[1].

كان غرضه ﷺ من تكرار هذه الكلمات يومياً هو تذكير أهل البيت بفناء هذه الدنيا الزائلة،وعدم ثباتها واستقرارها، والحطّ من مكانة وأهمية المال في القلوب وتقليل قيمته.

وكان ﷺ يدخل في الحجرة بعد صلاة العشاء فيستاك ثم ينام مباشرة، فاذا كانت وسط الليل يستيقظ من النوم ويتنهد، فإذا كان آخر الليل يوقظ عائشة ﵂ لتصلي ثم

---

(١) مسند الإمام أحمد ٥٥/٦ برقم ٢٤٣٢١، كما أخرجه البخاري ومسلم وأصحاب السنن بعضهم عن أنس وآخرون عن ابن عباس رضي الله عنهم أجمعين، والإمام مسلم في صحيحه برقم ١٠٤٨ باب لو كان لابن آدم واديان لابتغى ثالثاً، والترمذي في سسنه باب ما جاء لو كان لابن آدم واديان من مال برقم ٢٣٣٧، والدارمي باب لو كان لابن آدم واديان من مال برقم ٢٧٧٨.

تعليق الشيخ شعيب: الحديث صحيح دون قوله وما جعلنا المال إلا لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وهذا إسناد ضعيف.

توتر[١]، وإذا تبين له الفجر يصلّي ركعتي الفجر ويضطجع على شقه الأيمن[٢]، ويتحدث مع عائشة[٣]، حتى يأتيه المؤذن للإقامة.

وأحياناً كانت لتقوم الليل كاملاً مع النبي ﷺ تعبد ربها، تقول رضي الله عنها: كنت أقوم مع الرسول ﷺ ليلة التمام فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمرّ بآية فيها تخوّف إلا دعا الله ﷻ واستعاذ، ولا يمرّ بآية فيها استبشار إلا دعا الله ﷻ ورغب إليه[٤].

كما أنها كانت تقوم تصلي مع الرسول ﷺ في الحالات الطارئة، مثل الكسوف وغيره.

وكانت تقتدي بالرسول ﷺ في حجرتها[٥] والرسول ﷺ يؤم الناس في المسجد.

وكانت تواظب على الصلوات الخمس وقيام الليل، وكذلك صلاة الضحى، وتكثر من الصوم، وأحياناً يصومان معاً، وحينما ترى النبي ﷺ يعتكف في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، قد تشاركه في هذه العبادة، وتضرب الخيمة في المسجد فيصلّي الرسول ﷺ الصبح ثم يدخلها[٦].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٥٥/٦ برقم ٢٤٣٢٠ و ١٥٢/٦ برقم ٢٥٢٢٥، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب صلاة الليل برقم ٧٤٤.

(٢) صحيح البخاري باب الضجعة على الشق الأيمن بعد ركعتي الفجر برقم ١١٦٠.

يراجع: صحيح الإمام مسلم باب صلاة الليل برقم ٧٣٦.

(٣) صحيح البخاري باب من تحدث بعد الركعتين ولم يضطجع برقم ١١٦١، وفيه «فإن كنت مستيقظة حدثني، وإلا اضطجع حتى يؤذَّن بالصلاة»، وسنن أبي داود كتاب الصلاة برقم ١٢٦٢.

(٤) أخرجه الإمام احمد في مسنده ٩٢/٦ برقم ٢٤٦٥٣، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٨٢/٢. الحديث فيه ابن لهيعة ومسلم بن مخراق، لم يوثقه أحد.

(٥) صحيح البخاري كتاب الجمعة برقم ١٠٥١، صحيح الإمام مسلم كتاب الكسوف برقم ٩١٠،٩٠٥.

(٦) صحيح البخاري كتاب الاعتكاف برقم ٢٠٣٣.

وقد صحبت النبي ﷺ في حجة الوداع سنة ١١هـ، فلما قدمت مكة حاضت فلم تطف بالبيت، فشكت ذلك إلى النبي ﷺ فقال: انقُضي رأسك وامتشطي وأَهِلّي بالحج ودعي العمرة، فلما قضت مناسك الحج، أرسلها النبي ﷺ مع شقيقها عبد الرحمن إلى التنعيم فأحرمت من هناك للعمرة واعتمرت، فقال ﷺ: «هذه مكان عمرتك»[1].

القيام بواجب النبوة في البيت:

هذا هو المبحث الأخير في باب العلاقات الزوجية ـ وما مرّ معنا من القصص والوقائع التي تدلّ على غاية الحبّ والمودة، وربما يخطر منها على بال البليد القليل الفطنة أن النبي ﷺ كان يغفل عن واجب النبوة في بيته، وحسبنا في الرد على ذلك قول عائشة رضي الله عنها: كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة[2].

ولما رجع النبي ﷺ من غزوة تبوك فاتحاً استقبلته عائشة رضي الله عنها وعلّقت درنوكاً[3] فيه تماثيل فأمرها ﷺ أن تنزعه فنزعته[4].

وذات ليلة كان ﷺ عند عائشة إذ خرج فانطلقت عائشة رضي الله عنها في إثره حتى جاء البقيع، فرفع يديه ثلاث مرات فأطال ثم انصرف، فانصرفت عائشة رضي الله عنها، تقول: فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرت وسبَقْتُه فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت، فدخل فقال: مالك يا عائشة حشياً رابية؟ قالت: لا، قال: لتُخْبِرِيني أو ليخبِرَنّي اللطيف الخبير، قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فأخبرته الخبر[5].

---

(١) يراجع تفصيل القصة في صحيح البخاري كتاب الحج بالأرقام التالية: ١٥٥٦، ١٦٣٨، ١٦٥٠، ١٧٨٦، وفي صحيح الإمام مسلم كتاب الحج برقم ١٢١١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب كيف يكون الرجل في أهله، برقم ٦٠٣٩، وكذلك في كتاب النفقات برقم ٥٣٦٣ وكتاب الأذان برقم ٦٧٦، والإمام الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة والرقائق برقم ٢٤٦٨.

(٣) الدرنوك: البساط، انظر: النهاية لابن قتيبة ٢/١٧٠.

(٤) يراجع: صحيح البخاري كتاب اللباس بأرقام ٥٩٥٤، ٥٩٥٥، والإمام الترمذي نحوه في سننه كتاب صفة القيامة والرقائق برقم ٢٤٨٦، والنسائي في سننه كتاب الزينة برقم ٥٣٥٢.

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الجنائز برقم ٩٧٤، والإمام النسائي في سننه كتاب الجنائز باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين برقم ٢٠٣٧، والإمام الترمذي في سننه كتاب الصوم برقم ٧٣٩، =

وبالرغم من أن الإسلام قد أباح الحرير والذهب للنساء، لكن النبي ﷺ لا تعجبه مظاهر التنعُّم والعيش الهنيء والتزين الفاخر، فيكره أن يُرى مثل هذا التنعُّم في بيته، تقول عائشة: «إن رسول الله ﷺ رأى عليها مسكتَي ذهب فقال: ألا أخبرك بما هو أحسن من هذا، لو نزعت هذا، وجعلت مسكتين من وَرِق ثم صفّرتهما بزعفران، كانتا حسنتين»[1].

وتقول ﵂: نهانا رسول الله ﷺ عن خمس: لبس الحرير والذهب[2] والشرب في آنية الذهب والفضة، والمِيثَرة الحمراء، ولبس القِسِّيِّ، فقالت له: يا رسول الله شيء رقيق من الذهب يربط به المسك أو يُربط به، قال: «لا، اجعليه فضةً وصفّريه بشيء من زعفران»[3].

وكان العرب قد تعوّدوا على أكل الضّب، ولكن النبي ﷺ كان يكرهه، فأُهدي إليه لحمه ذات مرة فلم يأكله فقالت عائشة ﵂: ألا نطعمه المساكين؟ قال: لا تطعموهم مما لا تأكلون[4].

= وابن ماجه في سننه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها برقم ١٣٨٩ والمراد حشياً رابية أي أصبت بالربو فتنهجين كالمسرع في مشيه والرابية مرتفعة البطن.

(١) أخرجه الإمام النسائي في سننه كتاب الزينة برقم ٥١٤٣، وفي السنن الكبرى ٤٣٦/٥ برقم ٩٤٤٤، كما ذكره أبو المحاسن يوسف بن عيسى الخنفي في معتصر المختصر ٢١٣/٢. وصححه الشيخ الألباني.

(٢) لقد أباح الإسلام الذهب والحرير للنساء، ويدل عليه أحاديث صحيحة وصريحة، ولعل هذا المنع كان خاصاً بأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن أو أن المقصود بالمنع هو الإفراط والغلو في استعمالهما، والله أعلم. أو أن النهي للكراهة لا للتحريم.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٨٨/٦ برقم ٢٥٩٥٣. وضعَّف إسناده الشيخ شعيب.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٤٣/٦ برقم ٢٥١٥٣ و ١٢٣/٦ برقم ٢٤٩٦١، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٣/٣ باب فيمن تصدق بما يكره، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٢٥/٩ برقم ١٩٢٠٨، والطبراني في المعجم الأوسط ٢١٣/٥ برقم ٥١١٦.



الفصل الثالث

معاملتها مع الضرائر والأقارب

معاملتها مع الضّرائر والأقارب

لا يوجد شيء في حياة امرأة أشدّ مرارة وأنكى جرحاً من وجود ضرة لها، وكانت عائشة رضي الله عنها لها ثمان ضرائر، ولكن حياتهن كلها كانت صافية نظيفة، لم يعكّر صفوها شيء من الحقد أو الشَّحناء، وذلك لما أكرمهن الله تعالى بنبيه محمد ﷺ ورفع من مكانتهن وأعظم من شأنهن.

وكان جملة من تزوج بهن الرسول ﷺ بعد أم المؤمنين خديجة الكبرى رضي الله عنها عشر نساء، وقد كان زواجه ﷺ بهؤلاء النسوة في مناسبات مختلفة، ولعدد من الأسباب والمصالح. ومن ضمنهن كانت أم المساكين زينب بنت خزيمة رضي الله عنها ، التي تشرفت بالزواج بالنبي ﷺ في سنة ٣ هـ، وعاشت شهرين أو ثلاثة أشهر، أما التسع البواقي فقد قُدّر لهن العيش إلى ما بعد وفاة النبي ﷺ ، والجدول الآتي يوضّح سنوات زواج أمهات المؤمنين بالنبي ﷺ ، وبهذا تتبين لنا الفترة التي عايشت فيها عائشة رضي الله عنها صويحباتها وضرائرها.

أسماء أمهات المؤمنين	سنة زواجهن
١- سودة بنت زمعة	السنة العاشرة من البعثة
٢- حفصة بنت عمر الفاروق	السنة الثالثة من الهجرة
٣- أم سلمة	السنة الرابعة من الهجرة
٤- جويرية «من أثرياء قبيلة بني المصطلق»	السنة الخامسة من الهجرة
٥- زينب بنت جحش القرشية	السنة الخامسة من الهجرة
٦- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان	السنة السادسة من الهجرة
٧- ميمونة بنت الحارث	السنة السابعة من الهجرة
٨- صفية بنت حيي	السنة السابعة من الهجرة

ولبيان علاقة السيدة عائشة أم المؤمنين مع باقي أمهات المؤمنين نأخذ كل واحدة منهن على حدة حسب أسبقية زواجهما من النبي ﷺ :

١- أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: هذا وقد كان النبي ﷺ رُزق حبَّ أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وكان لها مكانة رفيعة في قلبه ﷺ، وكان دائماً يذكرها بالخير عند عائشة رضي الله عنها – رغم أنها انتقلت إلى رحمة الله تعالى قبل زواجه ﷺ بعائشة رضي الله عنها – فكانت تغار منها غَيْرة لم تنطو على مثلها لشريكاتها اللواتي يعشن معها، لأنها شَغَلت قلب النبي ﷺ بعد وفاتها، فلم يزل يذكرها ويحب لحبها من كان يزورها أو يراها، وكان شديد الكَلَف بها والتطلع إليها، تقول عائشة رضي الله عنها: «ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة، هلكتْ قبل أن يتزوجني، لما كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يبشّرها ببيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيُهدي في خلائلها منها ما يسعهن»[1].

وكل ما سجلته لنا كتب الأحاديث من مآثر وخدمات أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها الدينية والدعوية، من مواساتها للنبي ﷺ ومساعدتها له ومؤازرتها إياه، كل ذلك مرويّ عن طريق عائشة رضي الله عنها.

٢- أم المؤمنين سودة رضي الله عنها: وقد تزوج الرسول ﷺ عائشة وسودة في الوقت نفسه تقريباً، بفارق يسير من التقديم والتأخير، إلا أن دخوله بعائشة تأخر إلى ما بعد الهجرة، حيث إنها بقيت في بيت أمها بمكة لمدة ثلاث سنوات ونصف تقريباً، وفي هذه الفترة «فترة تأخير بنائه بعائشة» كانت سودة رضي الله عنها هي الزوجة الوحيدة للنبي ﷺ. فلما بنى الرسول ﷺ بعائشة كانت سودة «ضَرّتها» موجودة، وكان من المتوقع أن تكون هذه الفترة فترة المنافسة بينهما، ونيل الحقوق دون مشاركة غيرها، إلا أن الواقع يثبت عكس ذلك كلياً، فكل ما حدث في هذه الفترة يدل على وحدتهما ومودتهما وإخلاصهما ووفائهما، ولما كبرت سودة رضي الله عنها وأسنّت فَرِقَتْ أن يفارقها الرسول ﷺ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب بأرقام ٣٨١٨، ٣٨١٧، ٣٨١٦، وكتاب النكاح برقم ٥٢٢٩، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحاب برقم ٢٤٣٥، والترمذي في سننه كتاب البرّ والصلة برقم ٢٠١٧، وكتاب المناقب برقم ٣٨٧٥، وابن ماجه في سننه كتاب النكاح برقم ١٩٩٧. «هلكت: ماتت».

وضنَّتْ بمكانها منه، وعرفت من حُبّ رسول الله ﷺ لعائشة فوهبت يومها لها، فقبل ذلك رسول الله ﷺ منها[(١)].

كانت عائشة رضي الله عنها تمدح سودة كثيراً وتقول: ما رأيت امرأة أحبّ إليّ أن أكون في مسلاخها من سودة بنت زمعة من امرأة فيها حِدّة[(٢)].

٣- **أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها**: وقد تزوجها الرسول ﷺ في السنة الثالثة من الهجرة، وعاشتا معاً في ظل حبيبهما المصطفى ﷺ حوالي ثمان سنوات، فإحداهما كانت فلذة كَبد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والأخرى كانت قرة عين عمر الفاروق رضي الله عنه، كانت حياتهما نموذجاً حياً صادقاً للتوادد والتلاطف والتحابب، يكون لهما رأي[(٣)] واحد في الأمور المنزلية، وكانتا أصدق صديقتين تتفقان وتتكاشفان كلما وقع الخصام في بيت النبي ﷺ، وتؤيد إحداهما الأخرى في كل الأمور بإزاء غيرهما من أزواج النبي ﷺ، ومع ذلك كله فبسبب نطاق الحبّ لا تكاد تتحمل فيه الواحدة الأخرى ولا ترضى بقسمة هذا الجوهر الغالي في غيرهما، ولما فيها من المنافسة والغيرة على أترابها.

وما كانت تتوقف هذه المنافسة بينهما حتى في السفر، وإلى هذا يُشير حديث عائشة الآتي:

---

(١) انظر: صحيح البخاري كتاب النكاح برقم ٥٢١٢، وصحيح الإمام مسلم كتاب الرضاع برقم ١٤٦٣ ومستدرك الحاكم ٢/٢٠٣ برقم ٢٧٦٠، وسنن سعيد بن منصور ١٤٠١/٤ برقم ٧٠٢، وسنن البيهقي الكبرى ٧٤/٧ برقم ١٣٢١٢ و ٢٩٧/٧ برقم ١٤٥١٣.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الرضاع برقم ١٤٦٣، وابن حبان في صحيحه ١٢/١٠ برقم ٤٢١١، والبيهقي في السنن الكبرى ٧٤/٧ برقم ١٣٢١١، والنسائي في السنن الكبرى ٣٠١/٥ برقم ٨٩٣٤، وإسحاق بن راهويه في مسنده ٢٠٧/٢ برقم ٧١٢ ومسلاخها يعني جلدها والمراد تمنيت أن أكون أنا هي.

(٣) يتبين اتحادهما في الرأي واتخاذهما موقفاً واحداً في كل القضايا بما ورد في الأحاديث الصحيحة في قصة الهدايا وحادث التحريم والإيلاء، تقول عائشة في قصة العسل: فتواصيت أنا وحفصة «صحيح البخاري كتاب الطلاق برقم ٥٢٦٧»، وفي سنن الترمذي عن صفية بنت حيي قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وقد بلغني عن عائشة وحفصة كلام... الحديث، «كتاب المناقب برقم ٣٨٩٢، وكذلك سنن النسائي كتاب عشرة النساء برقم ٣٩٥٨ و ٣٩٥٩».

«إن النبي ﷺ كان إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعة لعائشة وحفصة، وكان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث، فقالت حفصة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك، تنظرين وأنظر؟ فقالت: بلى، فركبت، فجاء النبي ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة، فسلّم عليها، ثم سار حتى نزلوا، وافتقدته عائشة، فلما نزلوا جعلت رجليها بين الإذخر[١] وتقول: يا ربّ سلّط عليّ عقرباً أو حية تلدغني، ولا أستطيع أن أقول له شيئاً»[٢].

٤- **أم المؤمنين أم سلمة ﵂**: وكانت هي التي امتازت بصفات عالية من العقل وقوة الإدراك وملكة في الفهم وبُعد في النظر بين أزواج النبي ﷺ بعد عائشة ﵂، ومشورتها التاريخية التي أشارت بها على النبي ﷺ في صلح الحديبية بخصوص[٣] نحر الهدي لتستحق أن تُسجَّل بأحرف من الذهب، وتبقى تذكاراً رائعاً في تاريخ النساء. ولذلك نراها قد احتلت مرتبة رفيعة لدى النبي ﷺ رغم كبر سنّها، ولم يعكّر صفاء علاقتها مع عائشة طوال هذه الفترة إلا حادث واحد بسيط فقط، وهو ما حكته لنا عائشة ﵂ تقول:«اجتمع صواحبي إلى أم سلمة، فقلن: يا أم سلمة والله إن الناس يتحرّون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس

---

(١) الإذخر: نوع من الحشائس، والمعنى أنها من شدة الغيره دعت على نفسها لأنها تسببت بانصراف النبي ﷺ عنها.

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب النكاح حديث رقم ٥٢١١، وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة رقم ٢٤٤٥.

(٣) وذلك أن النبي ﷺ لما فرغ من كتابة المعاهدة أمر أصحابه بالنحر والحلق، قال ذلك ثلاث مرات، فلم يقم منهم أحد، فدخل رسول الله ﷺ على أم سلمه ﵂ وهو شديد الغضب، فقالت: مالك يا رسول الله؟ مراراً وهو لا يجيبها، ثم ذكر لها ما لقي من الناس وقال لها:«هلك المسلمون، أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا، وفي لفظ قال: عجباً يا أم سلمة ألا ترين إلى الناس آمرهم بالأمر فلا يفعلونه، قلت لهم انحروا واحلقوا... ثم أشارت عليه ﷺ أن يخرج ولا يكلم أحداً منهم، وينحر بُدْنه ويحلق رأسه، ففعل، فلما رأى الناس رسول الله ﷺ قد نحر وتحلق، تواثبوا ينحرون ويحلقون».
انظر تفاصيل الروايات والأحاديث الواردة في الموضوع: صحيح ابن حبان ٢٢٥/١١ برقم ٤٨٧٢، سنن البيهقي الكبرى ٢١٥/٥ برقم ٩٨٥٦، مصنف ابن أبي شيبة ٣٨٣/٧ برقم ٣٦٨٤٠، مصنف عبد الرزاق ٣٤٠/٥، مسند الإمام أحمد ٣٢٥/٤، المعجم الكبير للطبراني ١٤/٢٠ برقم ١٣.

أن يُهدوا إليه حيثما كان، أو حيثما دار، قالت: فذكَرَتْ ذلك أم سلمة للنبي ﷺ قالت «أم سلمة»: فأعرض عني، فلما عاد إليّ ذكرت له ذلك، فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له، فقال: يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله مانزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها»[1].

٥- **أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها**: لم تذكر لنا كتب الأحاديث والسير أيَّ موقف بينها وبين عائشة رضي الله عنها، سوى أن عائشة قد انبهرت بجمالها لما رأتها لأول وهلة، ولنسمع وصفها بلسان عائشة تقول: «وكانت امرأةحلوة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فبينا النبي ﷺ عندي إذ دخلت عليه جويرية تسأله في كتابتها، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهت دخولها على النبي ﷺ، وعرفت أنه سيرى منها مثل الذي رأيت.... الحديث»[2]. فخافت عائشة على نفسها علّها تسبّب نقصان مرتبتها، والتقليل من مكانتها وأهميتها، وسرعان ما زاحت هذه الفكرة وزالت هذه الوسوسة، وثبت أن ذلك كان خطأً، إذ لم تكن أسباب مكانتها العالية، وعظم مرتبتها وسموّ درجتها ورفعتها ذاك الجمال الظاهري أو الحسن الرائع الذي يبهر العقول ويجلب النفوس.

٦- **أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها**: كانت بنت عَمَّةِ الرسول ﷺ، أبيّة، أنوف، فيها شيء من الحِدّة من أجلها فارقها زوجها الأول، كانت رضي الله عنها أقرب النساء قرابة من رسول الله ﷺ.

تقول عائشة رضي الله عنها وهي تصفها: «وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ»[3] وقد أرسلها بعض الأزواج إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، قالت«عائشة»: ثم وقعت بي،

(١) صحيح البخاري كتاب المناقب برقم ٣٧٧٥، سنن الترمذي كتاب المناقب برقم ٣٨٧٩، سنن النسائي كتاب عشرة النساء برقم ٣٩٥٠.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ترجمة جويرهة رضي الله عنها ١١٧/٨ – ١١٦، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٨/٤ برقم ٦٧٨١ والبيهقي في الكبرى ٧٤/٩ رقم ٧٨٥٢ وابن حبان ٣٦١١٩ برقم ٤٠٥٤ وقوى شعيب إسناده.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات برقم ٢٦٦١، وكتاب المغازي ٤١٤١، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٤٤٢.

فاستطالت عليّ، وأنا أرقب رسول الله ﷺ، وأرقب طَرْفه، هل يأذن لي فيها، قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر، قالت: فلما وقعتُ بها لم أنشبها حتى أنحيتُ عليها، قالت: فقال رسول الله ﷺ: إنها ابنة أبي بكر[1].

ولمّا كان النبي ﷺ يعتكفُ في العشر الأواخر من رمضان يُضرَب له الخباء، فيدخله ﷺ، وكانت عائشة أيضاً يضرَب لها الخباء في فناء المسجد، وذات مرة ضرب لها الخباء، فاستأذنت حفصة عائشة أن تضرب خباءً فأذنت لها، فضربت خباءً، فلما رأته زينب بنت جحش ضربت خباءً آخر، فلما أصبح النبي ﷺ رأى الأخبية، فقال: ما هذا؟ فأُخبر، فقال: آلبرّ تَرَوْن بهن؟ فترك الاعتكاف ذلك الشهر، ثم اعتكف عشراً من شوّال. وفي رواية مسلم «فأمر بخبائه فقُوِّض، وترك الاعتكاف في شهر رمضان.....»[2].

وذات ليلة جاءت زينب إلى بيت عائشة – ولم يكن يومئذٍ مصباح في البيوت – إذ دخل النبي ﷺ فمدّ يده إليها، فقالت عائشة رضي الله عنها: هذه زينب، فكفّ النبي يده فتقاولتا، حتى استخبتا وأقيمت الصلاة، فمرّ أبو بكر على ذلك فسمع أصواتهما فقال: اخرج يا رسول الله إلى الصلاة، واحثُ في أفواههن التراب، فخرج النبي ﷺ، فقالت عائشة: الآن يقضي النبي ﷺ صلاته فيجئ أبو بكر فيفعل بي ويفعل، فلما قضى النبي ﷺ صلاته أتاها أبو بكر فقال لها قولاً شديداً، وقال: أتصنعين هذا[3]؟.

ولا يظّنن ظان من هذه القصص أن قلوبهن لم تكن صافية تجاه بعضهن البعض وصواحبهن، فكانت العلاقات بينهن على أحسن ما تتسنى العلاقات بين أناس تجمعهم معيشة واحدة، فعائشة وزميلاتها كن يغرنَ ويتنافسن لا محالة كما تغار النساء في كل مكان، ولكنهن لم ينسين قط أنهن نساء نبيّ يتأدّبن بأدبه، ولا يجاوزن بالغيرة ما يجمل

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب فضل عائشة برقم ٢٤٤١، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٩٩/٧ برقم ١٤٥٦٢، والنسائي في السنن الكبرى ٢٨١/٥ برقم ٨٨٩٢، وأحمد في مسنده ٨٨/٦ برقم ٢٤٦١٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاعتكاف برقم ٢٠٤١، ومسلم في صحيحه كتاب الاعتكاف برقم ١١٧٣، وأبو داود في سننه كتاب الصوم برقم ٢٤٦٤، والنسائي في سننه كتاب المساجد برقم٧٠٩، وابن ماجه في سننه كتاب الصيام برقم ١٧٧١.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الرضاع برقم ١٤٦٢.«الاستخباب: ارتفاع الأصوات».

بهن في كنفه ورعايته، وإن تسع أخوات شقيقات من أب واحد وأم واحدة ليقع بينهن من شحناء الغيرة إذا اجتمعن في بيت أسرتهن أضعاف ما روي لنا من غيرة زوجات النبي ﷺ في عشرتهن الطويلة.

ومما لا مراء فيه أن شرف الصحبة يجعل الإنسان يحتل مكانة عالية مرموقة ودرجة سامية، ولكنه لا يغيِّر من طبيعته وجبلّته شيئاً، كذلك حال المرأة فإنها بطبيعتها وفطرتها لا ترضى بأن تشاركها واحدة أخرى في حُبها، ولا تقبل فيه أية قسمة، ولكن حال زوجات النبي ﷺ تختلف عن عامة النساء، فكن يحمن حول حمى المصباح الوحيد – وهو مصباح حب النبي ﷺ– بينما قلوب جميعهن كانت تستضيء من سراج واحد، وتستنير من مصباح واحد، ورغم ذلك كله كن نموذجاً رائعاً ومثالاً نادراً للملاطفة والمداراة والتحابب فيما بين زوجات النبي ﷺ، سوى ما روى في بعض الأحوال الاستثنائية والمواضع العاطفية.

وهذه زينب بنت جحش رضي الله عنها لما بنى بها النبي ﷺ هنّأتها عائشة رضي الله عنها وباركتها[1].

ولما حاولت بعض القلوب المنافقة الحاقدة اتهام عائشة رضي الله عنها في حادث الإفك شاركتهم حمنة بنت جحش – شقيقة زينب – في هذه المؤامرة، إلا أن زينب رضي الله عنها لم تَزلّ قدماها عن طريق الصواب قِيد شبر لأية لحظة، وظلّت على موقفها ثابتة، ولمّا سألها الرسول ﷺ عن أمر عائشة رضي الله عنها: يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟ فاستعاذت بالله وقالت: «أحمي سمعي وبصري؛ والله ما علمت إلا خيراً»، وقد كان بوسعها أن تقول في هذه المناسبة ما تقوله الضرة المحنقة، وتسقط قرينتها وتخسّرها بكلمة واحدة، لكن شرف صحبة المصطفى ﷺ جعلها أعلى وأرفع بكثير من هذه الدنايا، فلم ينبس فمها بكلمة

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قصة بناء النبي ﷺ بزينب وفيها :.... فانطلق إلى حجرة عائشة فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله، فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدتَ أهلك بارك لك... الحديث«كتاب تفسير القرآن برقم ٤٧٩٣».

باطل، ولذلك نرى عائشة رضي الله عنها كانت تذكرها بكلمات من الشكر والامتنان، وتقول: «فعصمها الله بالورع»[١].

ومما لا شك فيه أن ذكر محاسن الأموات ومآثرهم يمنح حياتهم الخلقية الدوام والسرمدية وعائشة رضي الله عنها كانت خير مثال لذكر محاسن ضرائرها وقريناتها، تقول رضي الله عنها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأزواجه: أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً، قالت: فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم نمدّ أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أراد بطول اليد الصدقة، وكانت زينب امرأة صُنّاعة اليد، فكانت تدبغ وتخرز وتَتَصَدّق في سبيل الله عز وجل[٢].

وقد سبق أن ذكرنا ما حدث ذات مرة بين عائشة وزينب رضي الله عنهما ووصل الأمر إلى غاية الضيق والكره والاستياء، وها هي عائشة رضي الله عنها تحكي لنا تلك القصة المرة بأسلوب حلو غنيّ بالحُب والإخلاص، لا يشوبه شيء من الحقد أو الكره أو الاشمئزاز، فهي تسرد القصة وتمدحها، تقول رضي الله عنها: «فأرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم أر امرأة قطّ خيراً في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدَّق به وتقرَّب به إلى الله تعالى، ما عدا سَوْرة من حدة كانت فيها، تُسرع منها الفيئة....»[٣] الحديث.

---

(١) يراجع: صحيح البخاري كتاب الشهادات برقم ٢٦٦١، وصحيح الإمام مسلم كتاب التوبة برقم ٢٧٧٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة مختصراً برقم ٢٤٥٢، وابن حبان في صحيحه ١٠٨/٨ برقم ٣٣١٤، والحاكم في المستدرك ٢٦/٦ برقم ٦٧٧٦ واللفظ له، والطبراني في الأوسط ٢٣٣/٣ برقم ٦٢٧٦.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب في فضل عائشة برقم ٢٤٤٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٩٩/٧ برقم ١٤٥٢٦، والنسائي في السنن الكبرى ٢٨١/٥ برقم ٨٨٩٢، والطبراني في الأوسط ٨٨/٩ برقم ٩٢١١.

٧- **أم المؤمنين حبيبة رضي الله عنها**: لم تسجّل لنا كتب الأحاديث عنها شيئاً في تعاملها مع عائشة رضي الله عنها بالموافقة أو المخالفة، إلا أن كتب أسماء الرجال تنصّ على أنها استدعت عائشة عند وفاتها فقالت: قد كان ويكون بيننا وبين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك، فقلت «القائلة هي عائشة»: غفر الله لك ذلك كله، وتجاوز، وحلّلك من ذلك، فقالت «أم حبيبة»: سَرَرْتِني سرّك الله[1].

٨- **أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها**: لم تذكر لنا كتب الأحاديث شيئاً من تعاملها مع عائشة رضي الله عنها، وقد ثبت في كتب الرجال أنها لما ماتت قالت عنها عائشة رضي الله عنها: «أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم»[2].

٩- **صفية بنت حُيَيّ رضي الله عنها**: وقد نالت شرف صحبة النبي ﷺ وحظيت بالبقاء في كنفه لمدة ثلاث سنوات فقط، وكانت مختلفة عن بقية أمهات المؤمنين، لأنها كانت من خيبر ومن أسرة يهودية، تزوجها رسول الله ﷺ في خيبر، فلما دنَوْا من المدينة دفع رسول الله ﷺ فعثرت الناقة العضباء وندر رسول الله ﷺ فقام فسترها، وقد أشرفت النساء فقلن: أبعد الله اليهودية[3].

وقد عُرفت أم المؤمنين صفية رضي الله عنها بجودة الطهي فنفست عليها السيدة عائشة هذه الإجادة، ولم تكتم غيرتها عليها، بل هي التي روتها، ومن حديثها عنها عرفناها، قالت: ما رأيت صانعة طعام مثل صفية، أهدت إلى النبي ﷺ إناءً فيه طعام، فما ملكت نفسي أن كسرته، فسألت النبي ﷺ عن كفارته فقال: «إناء كإناء وطعام كطعام»[4].

---

(١) أحال المؤلف إلى طبقات ابن سعد ١٠٠/٨ فقط، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٤/٤ برقم ٦٧٧٣، كما ذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٢٣/٢، وابن حجر في الإصابة ٦٥٣/٧.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٤/٦ برقم ٦٧٩٩، وابن سعد في الطبقات ١٣٨/٨، والحارث في مسنده ٥١٣/١ برقم ٤٥٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٩٧/٤، وقال الذهبي على شرط مسلم وحسن اسناده الشيخ شعيب، وقال ابن حجر وهذا سند صحيح، الإصابة ١٢٨/٨.

(٣) صحيح الإمام مسلم باب فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها برقم ١٣٦٥.

(٤) أخرجه النسائي في سننه برقم ٣٩٥٧، وفي السنن الكبرى ٢٨٦/٥ برقم ٨٩٠٥، وأحمد في مسنده ١٤٨/٦ برقم ٢٥١٩٦، هذا وقد اختلفت ألفاظ الرواية من كتاب إلى كتاب، وتتبين صورة القصة بأكملها عند جمع سائر الروايات.

وفي رواية البخاري: فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم بقصعة فيها طعام، فضربت بيدها فكسرت القصعة، فضمها وجعل فيها الطعام، وقال: كلوا، وحبس الرسول والقصعة حتى فرغوا، فدفع القصعة الصحيحة وحبس المكسورة[1].

وكانت صفية رضي الله عنها قصيرة القامة، فذات مرة قالت عائشة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفية كذا وكذا - تعني قصيرة - فقال: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته، قالت: وحكت له إنساناً، فقال: ما أحب أني حكيت إنساناً وأن لي كذا وكذا»[2]. والدليل على أن هذه المشاعر تجاه الضَّرّة كانت مؤقتة زائلة أن صفية رضي الله عنها كانت من حزب عائشة رضي الله عنها ومؤيدة لها في كل الأمور.

هذا وقد تبين لنا في ضوء ما قدمنا مدى اهتمام عائشة رضي الله عنها بصواحبها وضرائرها واحترامها إياهن وتوقيرهن، والنظر إليهن بنظرة العزة والإكرام والتعامل معهن بأقصى درجات اللطف والإخلاص والعدل، كما عرفنا كيف كانت تستقبلهن برحابة الصدر وسعة القلب، وتذكرهن بالخير، وتثني عليهن وعلى محاسنهن، وتُسرع إلى التوبة والرجوع إلى الله إذا صدر منها خطأ نظراً إلى الطبيعة البشرية، ولم يكن من عادتها أنها هي التي تبدأ الهجوم على ضرائرها في أمر ما، نعم إذا بادرت واحدة بالهجوم عليها فإنها كذلك لا تلزم الصمت، ومع ذلك كله فإنها تثني على كل واحدة وتمدحهن.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المظالم برقم ٢٤٨١، والترمذي في سننه كتاب الأحكام برقم ١٣٥٩، والنسائي في سننه كتاب عشرة النساء برقم ٣٩٥٥، وأبو داود كتاب البيوع برقم ٣٥٦٧، وقد استنبط الفقهاء من هذا الحديث أصلاً عظيماً من أصول الفقه الإسلامي ألا وهو كيفية أداء الضمان.

(٢) أخرجه الإمام أبو دواد في سننه باب الغِيبة برقم ٤٨٧٥، والترمذي كتاب صفة القيامة برقم ٢٥٠٢، والمنذري في الترغيب والترهيب ٣/٣٢٧ برقم ٤٢٨٦. وصححه الشيخ الألباني.

تنبيه على بعض الروايات الضعيفة:

كل منا يعلم أن الإخلاص والحب والوفاء بين الضرائر أصبح من الأشياء العزيزة النادرة والقليلة الوجود في مجتمعنا اليوم، إلا أن شأن أمهات المؤمنين في هذا الأمر كان مختلفاً عن غيرهنّ من نساء العالم، فقد كن على أعلى مستوى وأرفع مكانة في الخصائص والميزات مما كان يتوقعه منهن العالم البشري، وقد حقّقن تلك الأحلام التي رأتها دنيا النساء تجاههن، ولم يخيّبن آمالهن في شيء والحمد الله على ذلك. ولكنهن لم ينسين قط أنهن نساء نبيّ، يتأدبن بأدبه، ويتطلّعن إلى رضاه، ويفزعن من غضبه.

ورغم أن معظم الأحاديث والروايات التاريخية التي سبق أن ذكرناها هي مستقاة من كتب الصحاح، إلا أنه يوجد فيها بعض من نقاط الضعف، أو تشويه للصورة الأصلية، ولو قمنا بعملية الفحص والتحقيق والدراسة سيتضح لنا ذلك بكل وضوح وفي صورة مشرقة، ومن الأمثلة والشواهد على ذلك ما يلي:

١- قصة كسر القصعة، فهذه القصة موجودة في سائر كتب الأحاديث تقريباً، إلا أن البخاري ومسلم لم ينصّا على أن التي كسرت القصعة هي عائشة رضي الله عنها، بينما الأحاديث الواردة في السنن والمسانيد تنصّ على أنها كانت عائشة، مثل سنن أبي داود، وسنن النسائي ومسند الإمام أحمد بن حنبل وغيرها، والغريب في الأمر أنهم يروون ذلك عن عائشة رضي الله عنها نفسها، وأول راوية لهذا السند هي جسرة بنت دجاجة، وهي وإن وثقها العجلي[1] وابن حبان[2] لكن يقول عنها البخاري: عند جسرة عجائب[3]، وزعم ابن حزم أن حديثها باطل[4].

---

(١) انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٤٣٥/١٢ رقم الترجمة ٢٧٤٩.

(٢) انظر: كتاب الثقات لابن حبان البستي ١٢١/٤ رقم الترجمة ٢٠٩٧، وانظر كذلك تهذيب التهذيب ٤٣٥/١٢ رقم الترجمة ٢٧٤٩.

(٣) انظر: التاريخ الكبير للإمام البخاري ٦٧/٢ رقم الترجمة ١٧١٠، وتهذيب التهذيب ٤٣٥/١٢ رقم الترجمة ٢٧٤٩.

(٤) نفس المصدر.

الراوي الثاني هو أفلت العامري، وهو وإن وثّقه بعض المحدثين إلا أن معظمهم اتفق على تضعيفه.

قال الإمام أحمد: ما أرى به بأساً[١]، ونقل الخَطّابي عن أحمد قوله: إنَّ أفلت راوٍ مجهول، وقال البغوي في شرح السنة: ضعّف أحمد هذا الحديث، أي حديث: لا أحل المسجد لحائض ولا جنب، لأنه من رواية أفلت، وهو مجهول[٢]، وقال ابن حزم: غير مشهور ولا معروف بالثقة، وحديثه هذا باطل[٣].

٢- وفي سنن الترمذي عن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وقد بلغني عن حفصة وعائشة كلام، فذكرت ذلك له، فقال: «ألا قلتِ: فكيف تكونان خيراً مني؟ وزوجي محمد وأبي هارون وعمّي موسى، وكان الذي بلغها أنهم قالوا: نحن أكرم على رسول الله ﷺ منها، وقالوا: نحن أزواج النبي ﷺ وبنات عمه»[٤] قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث صفية إلا من حديث هاشم الكوفي، وليس إسناده بذلك القوي.

هذه الرواية تناقلتها كل كتب السير ولكنها لم تذكر تعليق الإمام الترمذي على الرواة، وفيما يأتي نذكر أقوال المحدثين في هاشم الكوفي الذي عليه مدار الإسناد:

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣٤٦/٢ رقم الترجمة ١٣١٦، وانظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال ١٢٥/٢ رقم الترجمة ١٤٨٣.

(٢) تهذيب التهذيب ٣٢٠/١ رقم الترجمة ٦٦٨.

(٣) نفس المصدر.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه باب فضل أزواج النبي ﷺ برقم ٣٨٩٢، والحاكم في المستدرك ٣١/٤ برقم ٦٧٩٠، والطبراني في الأوسط ٢٣٦/٨ برقم ٨٥٠٣ وفي الكبير ٧٥/٢٤ برقم ١٩٦. وضعفه الشيخ الألباني.

قال الإمام أحمد: لا أعرفه[١]، وقال ابن معين: ليس بشيء[٢]، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث[٣]، وقال ابن عدي: مقدار ما يرويه لا يتابع عليه[٤]، ومع ذلك كله فإن رواية أنس رضي الله عنه التي في الترمذي[٥] ليس فيها ذكر عائشة.

٣- وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل عن علي بن زيد عن أم أحمد امرأة أبيه عن عائشة قالت: كانت عندنا أم سلمة، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم عند جنح الليل، قالت: فذكرت شيئاً صنعه بيده، قالت: وجعل لا يفطن لأم سلمة، قالت: وجعلت أومئ إليه حتى فطن، قالت أم سلمة: أهكذا الآن، أما كانت واحدة منا عندك إلا في خلابة كما أرى، وسبّت عائشة وجعل النبي صلى الله عليه وسلم ينهاها، فتأبى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: سُبّيها، فسبّتها حتى غلبتها، فانطلقت أم سلمة إلى علي وفاطمة، فقالت: إن عائشة سبتها وقالت لكم وقالت لكم......... الحديث[٦].

والراوي الثاني لهذا الحديث هو علي بن زيد، يقول فيه ابن سعد: ولد وهو أعمى، وكان كثير الحديث وفيه ضعف ولا يحتج به، وقال صالح بن أحمد عن أبيه: ليس بالقوي، وقد روى عنه الناس، وقال أحمد: ليس بشيء، وقال حنبل عن أحمد: ضعيف الحديث، وقال يحيى: ضعيف، وفي رواية: ضعيف في كل شيء، وقال الجوزجاني: واهي الحديث، ضعيف، وفيه ميل عن القصد، لا يحتج بحديثه، وقال الحاكم أبو أحمد: ليس بالمتين عندهم، وقال أبو زرعة: ليس بالقوي، وقال البخاري: لا يحتج به، وقال سليمان بن حرب عن حماد بن زيد: حدثنا علي بن زيد وكان يقلب الأحاديث، وفي رواية: كان يحدثنا اليوم بالحديث ثم يحدثنا غداً، فكأنه ليس كذلك[٧].

---

(١) تهذيب التهذيب ١٧/١١ ترجمة رقم ٣٧.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

(٥) سنن الترمذي ح (٢٨٩٤) وصححه الشيخ الألباني.

(٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٣٠/٦ برقم ٢٥٠٣٠. وقال الشيخ شعيب: اسناده ضعيف على نكارة متنه.

(٧) انظر هذه الأقوال كلها في تهذيب التهذيب ١٨٤/٧ رقم الترجمة ٥٤٥.

علاقة السيدة عائشة الصديقة الوطيدة بالسيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها:

كان لرسول الله ﷺ أربع بنات كلهن من خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها وهن: السيدة زينب، رُقية، أم كلثوم، فاطمة الزهراء رضي الله عنهن، وكلّهن قد كن تزوّجن وانتقلن إلى بيوت أزواجهن قبل بناء الرسول ﷺ بعائشة، إلا فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وأما السيدة رقية رضي الله عنها فقد وافتها المنيّة بعد سنة من بناء الرسول ﷺ بعائشة، وأما السيدة زينب وأم كلثوم رضي الله عنهما فقد عاشتا حوالي سبعة أو ثمانية أعوام مع زوجة أبيهما عائشة رضي الله عنها، ثم انتقلت إلى رحمة الله تعالى في السنة الثامنة والتاسعة من الهجرة على التوالي، ولم يحدث بينهن خلال هذه الفترة شيء يعكّر صفو علاقتهن، وهذه السيدة زينب رضي الله عنها أكبر بنات الرسول ﷺ قال النبي ﷺ: «هي أفضل بناتي أصيبت فيَّ»[1] وكانت لها بنت تسمى أمامة، يحبّها النبي ﷺ، ومن حبه لها أنه كان يصلي وهو حاملها، فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها[2]. وذات مرة أهديت للرسول ﷺ هدية فيها قلادة من جزع فقال:«لأدفعنَّها إلى أحب إهلي إليّ».

فقالت النساء: ذهبت بها ابنة أبي قحافة، فدعا النبي ﷺ أمامه بنت زينب فعلّقها في عنقها[3].

أما السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها فإنها كانت بكراً عندما بنى الرسول ﷺ بعائشة رضي الله عنها، ولكنها كانت أكبر سناً منها بحوالي خمس أو ست سنوات، وقد عاشت

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢١٩/٢ برقم ٢٨١٢، ٤٦/٤، ٤٧/٤، كما ذكره أبو المحاسن يوسف ابن موسى في معتصر المختصر ٢٤٦/٢، وأحمد بن عمرو الشيباني في الآحاد والمثاني ٣٧٢/٥ برقم ٢٩٧٥، كما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ١٠٩/٧ نقلاً عن الطحاوي، والبخاري في التاريخ الصغير ٧/١ مبحث حديث زينب بنت رسول الله ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة برقم ٥١٦، ومسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم ٥٤٣، وأبو داود في سننه كتاب الصلاة برقم ٩١٧، والإمام مالك في الموطأ كتاب النداء للصلاة برقم ٤١٢، والدارمي في سننه كتاب الصلاة برقم ١٣٥٩.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٠١/٦ برقم ٢٤٧٤٨، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد مفصلاً باب مناقب أمامة ٢٥٤/٩، والطبراني في المعجم الكبير ٤٤٢/٢٢ برقم ١٠٨٠. وضعفه الشيخ شعيب.

مع عائشة رضي الله عنها سنة أو أقل، لأنها تزوجت في وسط السنة الثانية للهجرة، وكانت عائشة من اللاتي قمن بتجهيزها للعرس، وإعداد أغراض البيت وترتيب أمور الزواج، تقول رضي الله عنها: أمرنا رسول الله ﷺ أن نجهِّز فاطمة حتى نُدخلها على علي، فعمدنا إلى البيت، ففرشناه تراباً ليّناً من أعراض البطحاء، ثم حشونا مرفقتين ليفاً فنفشناه بأيدينا، ثم أطعمنا تمراً وزبيباً، وسقينا ماءً عذباً، وعمدنا إلى عود فعرضناه في جانب البيت ليُلقي عليه الثوب ويعلق عليه السقاء، فما رأينا عرساً أحسن من عرس فاطمة[1].. والبيت الذي نزلت فيه فاطمة رضي الله عنها بعد الزواج كان يفصله جدار من حجرة عائشة رضي الله عنها، وكان بينهما مشربة تتكلمان منها.

هذا ولم تسجّل لنا كتب الأحاديث واقعة صحيحة تدل على أن واحدة منهما قد حملت شيئاً من الكراهية أو البغض في قلبها تجاه الأخرى، بل أجمع أصحاب السير وكتب الأحاديث على أن الصلة بين عائشة رضي الله عنها وبين فاطمة كانت على أكمل ما ترضاه السجية الإنسانية في كل صلة من قبيلها، وكانتا شريكتين في قلب واحد تتنافسان عليه ولكنها شركة بين كريمتين، وها هي فاطمة رضي الله عنها تأتي إلى النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى، وقد بلغها أنه جاءه رقيق فلم تصادفه فذكرت ذلك لعائشة...... الحديث[2].

ومن أثر هذه المنافسة أن أمهات المؤمنين أوفدن السيدة فاطمة إلى النبي ﷺ ينشدن العدل في ابنة أبي قحافة، لكن لنرى كيف كان موقفها من ذلك، تقول: فكلَّمتْه فقال: يا بنية ألا تحبّين ما أُحب؟ قالت: بلى، فرجعت إليهن فأخبرتهن فقلن: ارجعي إليه، فأبت أن ترجع[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب النكاح برقم ١٩١١. وضعفه الشيخ الألباني.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النفقات برقم ٥٣٦١، ومسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء برقم ٢٧٢٧، وأبو داود في سننه كتاب الخراج برقم ٢٩٨٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الهبة برقم ٢٥٨١، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٤٤٢، والنسائي في سننه كتاب عشرة النساء برقم ٣٩٤٤.

وهذه عائشة رضي الله عنها تثني على فاطمة رضي الله عنها قائلة: ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها صلى الله عليه وسلم[١].

وتقول عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلالاً وهدياً برسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالت: وكانت إذا دخلت على النبيّ قام إليها فقبّلها وأجلسها في مجلسه، وكان صلى الله عليه وسلم إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبّلته وأجلسته في مجلسها»[٢].

كما أن عائشة هي التي روت حديث فضل أهل البيت الذي يعتبر من أعظم مناقب فاطمة رضي الله عنها. والحديث الآتي يبين لنا مدى علاقتها الوطيدة مع فاطمة رضي الله عنها، وثنائها عليها في الوقت نفسه، تقول: كنّ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عنده لم يغادر منهن واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي، ما تُخطئ مِشيتُها من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، فلما رآها رحب بها فقال: مرحباً بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارّها فبكت بكاءً شديداً فلما رأى جَزَعها سارّها الثانية، فضحكت، فقلت لها: خصّك رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين نسائه بالسّرار ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها ما قال لكِ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: «ماكنت أُفشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سرّه»، قالت: فلمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: عزمت عليكِ بما لي عليكِ من الحق لما حدَّثتني ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: أما الآن فنعم، أما حين سارّني في المرة الأولى فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، وإنه عارضه الآن مرتين، وإني لا أُرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإنه نعم السلف أنا لك، قالت: فبكَيْتُ بُكائي الذي رأيتِ، فلما رأى جَزَعي سارّني الثانية فقال: يا فاطمة أما ترضيْنَ أن

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت أفضل من أبيها.... الحديث ١٣٧/٣ برقم ٢٧٢١. رواه الحاكم ح(٤٧٥٦) وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، ورواه أبو يعلى ح (٤٧٠٠).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه باب مناقب فاطمة رضي الله عنها برقم ٣٨٧٢، وابن حبان في صحيحه ٤٠٣/١٥ برقم ٦٩٥٣، نحوه، وكذلك الحاكم في المستدرك ١٧٤/٣ برقم ٤٧٥٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأبو داود في سننه باب ما جاء في القيام برقم ٥٢١٧. وصححه الشيخ الألباني.

تكوني سيّدة نساء المؤمنين أو سيّدة نساء هذه الأمة، قالت فضحكت ضحكي الذي رأيت»[١].

هذا الحديث خير دليل على حسن علاقتهما الوطيدة، وكما نعلم أن هذا الحادث جرى في آخر عمر فاطمة رضي الله عنها، فاتضح من ذلك أن قضايا الميراث وفَدَك لم تؤثر شيئاً على علاقتهما الطيبة، ولم تدفع إلى حدوث أي توتر في الصلة التي تجمعهما بكل صدق وإخلاص، كما أنه لم يُعهَد منهما شيء من المضايقات حتى في الشؤون المنزلية والداخلية يعكّر صفر علاقتهما القلبية والروحية.

فظاهر هذا الحديث فيه منقبة لعائشة رضي الله عنها والثناء عليها، ولكن يبدو بعد إمعان النظر وتدقيقه أن الراوي قام بتقديم صورة مشوّهة مستكرهة لأخلاق أمهات المؤمنين، ومصدر هذه البلية هو علي بن زيد التيمي الذي ضعفه العلماء[٢].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب برقم ٣٦٢٤، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٤٥٠ واللفظ له، والترمذي في سننه كتاب المناقب برقم ٣٨٧٢، وابن ماجه في سننه كتاب ما جاء في الجنائز برقم ١٦٢١.

(٢) تهذيب التهذيب ٨٣/٧ — ٢٨٤ رقم الترجمة ٥٤٥.



الفصل الرابع

آيات نزلت

بسبب عائشة رضي الله عنها

آيات نزلت بسبب عائشة رضي الله عنها

أولاً: حديث الإفك

إن المصائب والمحن التي واجهها المسلمون بعد هجرتهم إلى المدينة المنورة كانت متباينة تماماً عما أصابهم في مكة المكرمة، وقد نشأ في المدينة رهط من المنافقين، كان شغلهم الشاغل التآمر ضد المسلمين ونسج خيوط المكر والدهاء للإيقاع في المسلمين.

ولا شك أن العِرض والناموس هو رأس مال الإنسان وأغلى متاع عنده، والهجوم على أعراض الناس والطعن فيها والنيل من نواميسهم لا يجترئ على ذلك إلا العدو اللئيم الحقير الخسيس، وكما أن المدينة المنورة كانت مأوى ومستقراً للمؤمنين الصادقين المتفانين في سبيل الله، أصحاب الإخلاص والوفاء، أولي الهمم العالية والتضحيات الجليلة العظيمة، كذلك نشأت هناك طائفة من الأعداء الخائنين الذين كانوا يكتمون النفاق في قلوبهم، وكان جل اهتمامهم الغدر والخيانة بالمسلمين والتآمر ضدهم بسائر الطرق المتاحة لديهم، وكان سلاحهم الأقوى والأكبر هو بث الإشاعات الكاذبة ونشر الأخبار المزورة التي تنال من حرمات المسلمين وأعراضهم، وتهتك حرماتهم، كما أنها تهيِّئ الأسباب والدوافع لإشعال الحروب الأهلية، وتوفّر مناخاً مناسباً وجواً ملائماً لها.

ولو لم يكن توفيق الله عز وجل حليفاً للمسلمين، والعناية الإلهية حافة بالنبي صلى الله عليه وسلم لتكللت جهودهم السيئة هذه بالنجاح، وأثاروا الفتن في المجتمع الإسلامي، ليس عن طريق التفريق بين الصحابة وتشتيت شملهم فحسب، بل بإيجاد أسباب ودوافع للتقاتل والتحارب وإسالة الدماء.

هذا ومن أسوأ وأقبح الأمثلة لهذه الجهود التي قامت بها القلوب الحاقدة ضد المسلمين حادثة الإفك، ولما كان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وسيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه من أكبر أعداء هذه القلوب الحاقدة المنافقة، صرفت هذه الطائفة الماكرة قسطاً كبيراً من مساعيها وجهودها الفاشلة إلى توجيه الطعن إلى حرم النبوة أمهات المؤمنين السيدة عائشة والسيدة حفصة رضي الله عنهما.

كانت غزوة المريسيع في شعبان سنة خمس للهجرة فنزل النبي ﷺ على بئر لبني المصطلق يقال لها: «المريسيع» قريباً من نجد، فقاتلوا المشركين، وقد خرج معهم جماعة من المنافقين لم يخرجوا قط في غزاة قبلها؛ لأنهم ظنوا أنه لا يحدُثُ شيء، ولا تنشب معركة دامية، يقول ابن سعد: «وخرج معهم بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قط مثلها»[١].

وقبل الخروج أقرع النبي ﷺ بين أزواجه حسب عادته فأيهن خرج سهمها خرج بها الرسول ﷺ، تقول عائشة رضي الله عنها: «فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ».

وكانت عائشة قد استعارت عِقْداً من أختها أسماء، وكان في عنقها وكانت سموطه[٢] تسقط وتتقطع، فانقطع هذا العقد، وهي يومئذٍ في الرابعة عشرة من عمرها، فقلقت عليه كما هي عادة البنات في مثل هذا العمر، وهي تحسب وتعتبر الحلية المتواضعة البسيطة من أغلى الأشياء عندها، وتستعد لتحمل أي مشقة في سبيل الحصول عليها.

تقول رضي الله عنها: «فأقبل الذين يرحِّلون لي، فاحتملوا هودجي فرحّلوه على بعيري الذي كنت أركب، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يَثْقُلن ولم يَغْشَهُنّ اللحم، وإنما يأكلن العُلْقة من الطعام، فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثِقَلَ الهودج، فاحتملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا».

هذا وخلال رحلة العودة إلى المدينة المنورة قام المنافقون بإيقاد نار من الاضطرابات، وإحداث الغوغاء بين المهاجرين والأنصار، وكادوا أن يشهروا السلاح ويتقاتلوا فيما بينهم.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦٣/٢ وغزوة رسول الله ﷺ المريسيع.
والأصح سنة ست، انظر: الحاشية رقم ٣ ص ٩٠.

(٢) السموط: جمع سِمط بالكسر وهو خيط النظم لأنه يعلق. لسان العرب (٣٢٢/٧).

وكان المنافقون يحثون الأنصار على ألا ينفقوا على المهاجرين والمسلمين، ويتخلّوْا عن مؤازرتهم ويتركوا مساعدتهم، فقال عبد الله بن أُبَيّ رئيس المنافقين: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾[1].

ولما سمع النبي هذه الغوغاء بين المهاجرين والأنصار خرج فقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟ ثم قال: ما شأنهم؟ فأُخبر بما حصل بين المهاجرين والأنصار فقال: دعوها فإنها منتنة، ثم أمر بالرحيل وخرج بالناس، فقدم عبد الله بن عبد الله بن أُبَيّ حتى وقف لأبيه على الطريق، فلما رآه أناخ به وقال: لا أفارقك حتى تزعم أنك الذليل ومحمد العزيز[2].

تقول عائشة: «حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته وقفل دَنَوْنا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل فقمتُ حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري، فإذا عِقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عِقدي فحبسني ابتغاؤه» - وكانت على يقين تام أنها ستجد ضالتّها قبل رحيل السفر ولذلك لم تخبر أحداً ولم تطلب منهم أن ينتظروها- قالت: «وأقبل الرهط الذين كانوا يرحّلوني فاحتملوا هودجي، فرحّلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه، وهم يحسبون أني فيه.....، قالت: ووجدت عِقْدي بعد ما استمرّ الجيش، فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب، فتيمّمت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطِّل السُّلَمي ثم

---

(١) سورة المنافقون الآية «٨».

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦٥/٢، وأخرجه الترمذي في سننه تفسير سورة «المنافقون» برقم ٣٣١٥، وكذلك البخاري في صحيحه. ورجّحوا أن هذه الواقعة كانت في غزوة المريسيع بينما قال النسائي: إنها كانت في غزوة تبوك، «السنن الكبرى للنسائي تفسير سورة «المنافقون» ٤٩١/٦ برقم ١١٥٩٧»، والأول هو الصحيح وعليه أجمع كل أصحاب السير والمغازي، وهو المفهوم من رواية البخاري «وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين» وفصّل القول في ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري فقال: قوله: «كنا في غزاة قال سفيان مرة في جيش» وسمّى ابن إسحاق هذه الغزوة غزوة بني المصطلق، وكذا وقع عند الإسماعيلي من طريق ابن أبي عمر عن سفيان قال يرون أن هذه الغزاة غزاة بني المصطلق وكذا في مرسل عروة«فتح الباري ٦٤٩/٨».

الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان فعرفني حين رآني، وكان رآني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمّرت وجهي بجلبابي، والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت إليها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول»[١].

هذه هي الصورة الحقيقية للواقعة، والتي تحدث في معظم الأحوال عندما يكون واحد في السفر، حتى في زمننا هذا الذي وصل فيه الرقيّ التكنولوجي إلى قمة التطور والنمو، وأبدعت شتى أنواع وسائل السفر والمواصلة والتنقل.

ثم ما حدث لعائشة رضي الله عنها وما قام به أصحاب القلوب الحاقدة ذوات الشحناء والبغضاء نحو هذه المُحْصَنَة الغافلة التقية الزكيّة، ليس ذلك الوحيد من نوعه، وإنما هذا إعادة لما حدث من قبل لمريم البتول عليها السلام في بني إسرائيل.

فوجد الخبيث عدو الله عبد الله بن أُبَيّ متنفَّساً، فتنفس من كُرَب النفاق والحسد الذي بين ضلوعه، فجعل يحيك الإفك ويوشّيه، ويشيعه ويذيعه، ويجمعه ويفرقه، وكان أصحابه يتقربون إليه، ولما سمع المسلمون الصادقون وسادات الصحابة قالوا: هذا بهتان عظيم، وهذا أبو أيوب رضي الله عنه قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب أكنت يا أم أيوب فاعلة؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة خيرٌ منك[٢].

وليس أشد على نفس الفتاة خاصة ولا أوجع لضميرها من مطعن يَهْدم سمعتها، ويعصف بهناءتها، ويُفقدها الرجل الذي تحبه، والمكانة التي تبوّأتها، وأشد ما يكون ذلك على البريئة العزيزة التي يهولها الأمر على قدر ظلمها فيه وعلى قدر نكبتها بما تفقده من العزة والسمعة، لم تكن عائشة رضي الله عنها مطلعة على هذا الخبر المفجع المؤلم، ولم تشعر بالشرّ إذ خرجت مع أم مِسْطح قِبَل المناصع، تقول رضي الله عنها: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا

(١) صحيح البخاري حديث الإفك برقم ٤١٤١.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢٦/٤، وانظر تاريخ الطبري ١١٤/٢.

أراد أن يخرج سفراً أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج بها معه، فأقرع بيننا في غزاةٍ غزاها، فخرج سهمي، فخرجت معه بعد ما أنزل الحجاب، فأنا أُحمل في هودج وأُنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلةً بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرَّحل فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع أظفارٍ قد انقطع فرجعت، فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، فأقبل الذين يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن ولم يغشهنَّ اللحم وإنما يأكلن العُلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثِقل الهودج فاحتملوه، وكنت جاريةً حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عِقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منزلهم وليس فيه أحد، فأممت منزلي الذي كنت به، فظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إليَّ، فبينما أنا جالسة غلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين أناخ راحلته، فوطئ يدها فركبتها فانطلق يقود بي الرَّاحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرَّسين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك وكان الذي تولَّى الإفك عبد الله بن أبي بن سلول، فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهراً والناس يُفيضون من قول أصحاب الإفك ويَريبني في وجعي أني لا أرى من النبي ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض، إنما يدخل فيسلِّم ثم يقول: كيف تيكم لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهت فخرجت أنا وأم مسطح قِبل المناصع متبرَّزنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليلٍ وذلك قبل أن نتخذ الكُنُف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأُول في البرية أو في التنزه، فأقبلت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم نمشي فعثرت في مِرطها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت أتسبين رجلاً شهد بدراً؟، فقالت: يا هنتاه ألم تسمعي ما قالوا، فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فقال: كيف تيكم، فقلت: ائذن لي إلى أبوي، وقالت وأنا حيئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي

رسول الله ﷺ ، فأتيت أبوي، فقلت لأمي ما يتحدَّث به الناس، فقالت: يا بنية هوني على نفسك الشأن فو الله لقلَّما كانت امرأة قط وضيئة عند رجلٍ يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، فقلت: سبحان الله ولقد يتحدث الناس بهذا، قالت: فبت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنومٍ، ثم أصبحت فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم في نفسه من الود لهم، فقال أسامة: أهلك يا رسول الله ولا نعلم إلا خيراً، وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيِّق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك، فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: يا بريرة هل رأيت فيها شيئاً يريبك؟ فقالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق إن رأيت منها أمراً أغمصه عليها قط أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام على العجين فتأتي الدَّاجن فتأكله، فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول فقال رسول الله ﷺ: من يعذرني من رجلٍ بلغني أذاه في أهلي، فو الله ما علمت على أهلي إلا خيراً، وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي، فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله أنا والله أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحميَّة فقال: كذبت لعَمْرُ الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك، فقام أُسيد بن حضير فقال: كذبت لعَمْرُ الله، والله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيَّان الأوس والخزرج حتى هموا ورسول الله ﷺ على المنبر، فنزل فخفَّضهم حتى سكتوا وسكتَ، وبكيتُ يومي لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنومٍ فأصبح عندي أبواي وقد بكيت ليلتين ويوماً حتى أظن أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فبينما نحن كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل فيَّ ما قيل قبلها، وقد مكث شهراً لا يوحي إليه في شأني شيء قالت: فتشهَّد ثم قال: يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب

فاستغفري اللّه وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب اللّه عليه، فلما قضى رسول اللّه ﷺ مقالته قَلصَ دمعي حتى ما أحس منه قطرة، وقلت لأبي أجب عني رسول اللّه ﷺ قال: واللّه ما أدري ما أقول لرسول اللّه ﷺ، فقلت لأمي أجيبي عني رسول اللّه ﷺ فيما قال، قالت: واللّه ما أدري ما أقول لرسول اللّه ﷺ، قالت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن، فقلت: إني واللّه لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدَّث به الناس ووقر في أنفسكم وصدَّقتم به ولئن قلت لكم إني بريئة واللّه يعلم إني لبريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمرٍ اللّه يعلم أني بريئة واللّه ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[(١)] ثم تحوَّلت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني اللّه، ولكن واللّه ما ظننت أن ينزل اللّه في شأني وحياً ولأنا أحقر في نفسي من أن يُتكلَّم بالقرآن في أمري، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول اللّه ﷺ في النوم رؤى يبرئني اللّه، فو اللّه ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه الوحي، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدَّر منه مثل الجُمان من العراق في يومٍ شات، فلما سُرِّي عن رسول اللّه ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي: يا عائشة احمدي اللّه فقد برَّأك اللّه، فقالت لي أمي: قومي إلى رسول اللّه ﷺ، فقلت: لا واللّه لا أقوم إليه ولا أحمد إلا اللّه، فأنزل اللّه تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[(٢)]، فلما أنزل اللّه هذا في براءتي قال أبو بكر رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه: واللّه لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد ما قال لعائشة، فأنزل اللّه تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ

---

(١) سورة يوسف الآية «١٨».

(٢) سورة النور الآية «١١».

وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١].

فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر لي فرجع إلى مسطح الذي كان يُجري عليه وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقال: يا زينب ما علمت ما رأيت، فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها إلا خيراً، قالت: وهي التي كانت تُساميني فعصمها الله بالورع[٢].

ومما لا شك فيه أن أم المؤمنين كانت مبرّأة من كل الاتهامات براءة كاملة، إلا أن الحاجة كانت داعية إلى التحقيق والتمحيص لتسكيت ألسنة المتحدثين بالأقاويل، فدعا رسول الله ﷺ علياً وأسامة رضي الله عنهما يستشيرهما في فراق أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الودّ، فقال أسامة: أهلك ولا نعلم إلا خيراً، وأما علي رضي الله عنه فقال: يا رسول الله لم يضيّق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك، فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: أي بريرة هل رأيت شيئاً يريبك؟ «وبريرة لم تستوعب سؤال النبي ﷺ، لأن الواقع كان أصلاً مستبعداً ومستحيلاً وظنت أنه يستفسرها عن الأمور المنزلية» فردت: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمصه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله»[٣]، ثم سألها الرسول ﷺ بألفاظ صرحية فقالت: أحمي سمعي وبصري، والله لعائشة أطيب من طيب الذهب[٤].

أما من الضرائر فكانت زينب بنت جحش رضي الله عنها هي التي تسامي عائشة رضي الله عنها من أزواج النبي ﷺ «فسألها الرسول ﷺ عن أمر عائشة فقال: يا زينب ما علمت ما رأيت؟ فقالت: «يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيراً».

---

(١) سورة النور الآية «٢٢».

(٢) رواه البخاري كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن البعض (٢٥١٨). ومسلم في كتاب التوبة باب في حديث الإفك (٧١٩٦).

(٣) صحيح البخاري ح (٤١٤١).

(٤) انظر: تفسير الطبري ٩٥/١٨، مسند إسحاق بن راهويه ٥٥٩/٢، شعب الإيمان للبيهقي ٣٨٥/٥، الكفاية في علم الرواية ٩٨/١.

ثـم قـام رسـول الله ﷺ مـن يومـه فاسـتعذر مـن عبـد الله بـن أُبَـيّ بـن سـلول فقـال رسول الله ﷺ: «من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي، فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله أنا والله أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه – وكانت العداوة بين الأوس والخزرج مستمرة من زمنٍ بعيدٍ، فلما أشرق فجر الإسلام قضى على هذه الفتنة – فلما سمع ذلك سعد بن عبادة «رئيس الخزرج» ساءه ذلك، ورأى أن ما قاله سعد بن معاذ هو تدخل منه في غير قبيلته من غير حق. فقام وقال: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن حضير – وهو ابن عم سعد بن معاذ – فقال: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيّان الأوس والخزرج حتى همّوا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت».

ثم دخل رسول الله ﷺ على عائشة ﵂، وهي كانت مضطجعة على فراش المرض وأبواها جالسان عندها، ولا يرقأ لها دمع، إذ جلس عندها ثم قال: يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب، تاب الله عليه، فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته، تقول ﵂: قلص دمعي حتى ما أحسّ منه قطرة، فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال، فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأميّ: أجيبي عنّي رسول الله ﷺ فيما قال: فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت: وأنا جارية حديثة السّن لا أقرأ في القرآن كثيراً، إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس، ووقر في قلوبكم وصدقتم به ولئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدّقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم

بأمر والله يعلم أني بريئة لتصدِّقُنّني، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[1][2].

أهداف المنافقين من وراء حادث الإفك:

وكان المنافقون قد استهدفوا من وراء هذ الفتنة العظيمة ما يأتي:

١- إهانة وتشويه سمعة أهل بيت النبي ﷺ، وبيت الصديق رضي الله عنه والنيل من أعراضهما، والطعن في حرماتهما.

٢- التفريق والتشتيت في الأسرة النبوية الكريمة.

٣- تمزيق شمل المسلمين وتفريق جمعهم، وإحداث خلل في قوتهم ووحدتهم وغرس بذور الفُرقة في وحدة الأخوّة الإسلامية.

تقول عائشة رضي الله عنها: فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدّر منه من العرق مثل الجُمان وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أُنزل عليه، فسُرّي عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: يا عائشة أما الله فقد برّأك الله فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن

---

(١) سورة يوسف الآية«١٨».

(٢) التفاصيل موجودة في واقعة الإفك وسبقته رواية البخاري ومسلم.

كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2].

فقالت لها أمها: قومي إلى رسول الله ﷺ، فقالت عائشة: «والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله[3]».

وروى البخاري عن مسروق قال: دخلنا على عائشة رضي الله عنها وعندها حسان بن ثابت ينشدها شعراً يشبّب بأبيات له وقال:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ   وتُصْبِحُ غَرْثَي مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ[4]

---

(١) سورة النور الآية«١١- ١٩».

(٢) سورة النور الآية«٢٣-٢٤».

(٣) حديث الإفك أخرجه بالتفصيل الإمام البخاري في صحيحه كتاب الشهادات برقم ٢٦٦١ وكتاب المغازي برقم ٤١٤١ وكتاب تفسير القرآن برقم ٤٧٥٠، ومسلم في صحيحه كتب التوبة برقم ٢٧٧٠، وأما الإضافات والزيادات التي زيدت خلال الرواية وأثناء سرد القصة فهي مستقاة من كتب الأحاديث الأخرى، وكذلك كتب السيرة والتراجم والتاريخ، وقد اعتمدت في نقل هذه الواقعة على فتح الباري تفسير سورة النور، واتبعت أثر الحافظ ابن حجر العسقلاني في تطبيق الروايات، والاختلافات الموجودة فيها، وكذلك في ترتيب الوقائع وتصحيح المطالب.

(٤) وتتمة الأبيات كما عند ابن اسحق:

عَقِيْلَةُ حَيٍّ مِنْ لُؤَيِ بْنِ غَالِبٍ   كِرَام المساعي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ

مُهَذَّبَةٌ قد طَيَّبَ اللهُ خِيْمَهَا   وطهَّرها مِنْ كُلِّ سوءٍ وبَاطِلِ

فإن كنتُ قد قُلْتُ الذي قَدْ زَعَمْتُمُ   فلا رَفَعَتْ سَوْطِي إليَّ أَنَامِلِي

وكيفَ ووِدّي ما حَيِيْتُ ونُصْرَتِي   لآلِ رسول اللهِ زينُ المَحَافِلِ

له رُتَبٌ عالٍ على النّاس كلهم   تَقَاصَرَ عنه سَوْرَةُ المُتَطَاوِلِ

يراجع: السيرة النبوية لابن هشام ٢٧٣/٤.

فقالت له عائشة: لكنك لست كذلك[1]، «تشير إلى أنه كان أحد الخائضين في حديث الإفك».

موقف المستشرق «وليم موير» من حديث الإفك:

هذا وقد وقع الكاتب المؤرخ المستشرق «وليم موير» فريسة أخطاء فادحة وفظيعة أدبية وتاريخية في حكايته لحديث الإفك. ولا يسعني في هذا الكتاب الموجز أن أستعرض كل أخطائه التاريخية والأدبية، وسأكتفي بذكر مثالٍ واحدٍ تظهر فيه الجناية التاريخية والأدبية التي قصدها هذا المستشرق.

يقول وليم موير:«لما قفل المسلمون من بني المصطلق ووصلوا المدينة، حملوا معهم هودج عائشة رضي الله عنها، فوضعوه عند الباب قرب المسجد النبوي أمام النبي صلى الله عليه وسلم، فلما فتحوه لم يجدوا فيه عائشة، وبعد وقت قليل ظهر صفوان بن المعطِّل «الصحابي المهاجر» فكانت عائشة جالسة على البعير وهو يقودها».

ثم يقول: «لقد أسرع صفوان بن المعطل لكي يلحق بالجيش، لكنه لم يقدر عليه، فلما نزل الناس وضربوا الخيام جاءت عائشة ودخلت المدينة على مرأى من الناس، يقودها صفوان بن المعطل».

وكل من هذين التصريحين يخالف ما ورد في سائر كتب الأحاديث والسير، ولا شك أن غرض «وليم موير» من ذلك لهو بعينه غرض كل متشبث بحدث الإفك ليتخذ منه سبيلاً إلى الطعن في الإسلام، وتشويه صورة الواقعة بشكل أسوأ وأفضح؛ لأنه قد ثبت باتفاق علماء السير والتاريخ أن صفوان قد أدرك الجيش في الظهيرة قبل الوصول إلى المدينة، فلا علاقة للموضوع بالمدينة المنورة.

---

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي رقم ٤١٤٦، وصحيح الإمام مسلم كتاب فضائل الصحابة رقم ٢٤٨٨.

ثانيا: مشروعية التيمّم:

خرجت عائشة رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ في إحدى أسفاره، وكان في عنقها نفس العِقد الذي كان في غزوة بني المصطلق، فلما قفل المسلمون ووصلوا إلى ذات الجيش انسلَّ العقد من عنقها وذلك من السَّحَر[١]، فحُبس رسول الله ﷺ لالتماسه.

تقول عائشة رضي الله عنها وهي تحكي لنا القصة بتمامها: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عِقد لي، فأقام رسول الله على التماسه وأقام الناس معه، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ وبالناس معه، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر، ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبستِ رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، قالت عائشة: فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكانُ رسول الله ﷺ على فخذي، فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم فتيمّموا[٢].

إن من خصائص الشريعة الإسلامية وميزات أحكامها أن الله ﷻ قد أنزلها في أوقات مناسبة وحسب الحاجات الإنسانية والمصالح البشرية، فالوضوء كان فرضاً للصلاة، لكن واجه المسلمون مشكلات في عشرات المواضع حيث لم يوفر فيها الماء، وهذا المكان كان من تلك المواضع التي لم يجد فيها المسلمون الماء، فأنزل الله تعالى حكم التيمّم نظراً لحاجتهم الشديدة ورحمة بهم وشفقة عليهم لكي يقيموا أكبر شعائر الإسلام وأهم فرائضه ألا وهي الصلاة، ونزلت الآية الكريمة: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا

(١) مسند الإمام أحمد ٢٧٢/٦ برقم ٢٦٣٨٤.

(٢) صحيح البخاري كتاب التيمم برقم ٣٣٤ وكتاب المناقب برقم ٣٦٧٢ وكتاب التفسير برقم ٤٦٠٧، وصحيح مسلم كتاب الحيض باب التيمم برقم ٣٦٧.

فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾[1] فلما نزلت هذه الآية سُرعان ما تحوّل جوّ المعاتبة والغضب إلى جوّ من الفرح والسرور والبهجة والحبور، وبدأ المسلمون يرفعون أيديهم إلى فاطر السموات والأرض داعين لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حيث أُكرم المسلمون بهذه النعمة الآلهية العظمى من أجلها، وقام أسيد بن حضير ووجهه متهلل بمعالم الفرح يقول: «ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر»[2] وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي لقيت منه عائشة رضي الله عنها ما الله به عليم من التعنيف والتأنيب، بدأ يقول حين جاء من الله ما جاء من الرخصة للمسلمين: «والله ما علمت يا بنيّة أنك لمباركة، ماذا جعل الله للمسلمين في حبسك إياهم من البركة واليسر»[3] ثم وجدوا العِقْد الذي افتقدته عائشة رضي الله عنها وكان تحت البعير.

---

(١) سورة النساء الآية«٤٣».

(٢) صحيح البخاري كتاب التيمم برقم ٣٣٤، وصحيح مسلم كتاب التيمم برقم ٣٦٧.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٢٧٢/٦ برقم ٢٦٣٨٤، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٠٨/١ برقم ٩٤٧، وابن ماجه في سننه باب التيمم برقم ٥٦٥. وصححه الشيخ شعيب.



الفصل الخامس

وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

ووفاتهـــــا رضي الله عنها

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في وفاة الرسول في السَّنَةَ الحَادِيَة عَشَرَة للهِجْرةِ

وها نحن الآن ندخل في المرحلة العصيبة النهائية، والنقطة الأخيرة من مصائب الحياة التي تعاني منها المرأة، ألا وهي مفارقة الزوج.

كانت عائشة رضي الله عنها في الثامنة عشرة من عمرها عندما التحق المصطفى ﷺ بالرفيق الأعلى، فكان يوماً من شهر صفر عام ١١ هـ إذ دخل رسول الله ﷺ على عائشة فقالت: وارأساه، فقال رسول الله ﷺ: بل أنا وارأساه[1]. ومنذ ذلك الحين ابتدأ به ﷺ وجعه في بيت ميمونة، وكان وجعاً في رأسه الكريم، وكان أكثر ما يعتريه ﷺ الصداع، فجعل مع هذا يدور على نسائه فما إن شعر بالمرض حتى أخذ يسأل: أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟استبطاءً ليوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها[2].

سببُ رغبته ﷺ في التمريض في بيت عائشة:

وربما يفهم البعض أن سبب رغبته ﷺ في التمريض في بيت عائشة رضي الله عنها هو حبّه لها، ولكننا ذكرنا سابقاً أن الله عز وجل قد خصّ السيدة عائشة رضي الله عنها بكثير من الفضائل والمزايا الفطرية ووهبها حظاً وافراً من كمال العقل وقوة الذاكرة وسرعة الفهم والذكاء المتوقد والبديهة الواعية وقدرة التحصيل والإحاطة بكل ما يقع في متناول ذهنها، وملكة في الاستنباط والاستخراج، وقوة نادة للاجتهاد، إذن فلا غرابة أن يكون غرض الرسول ﷺ من التمريض في بيت عائشة و الاستقرار فيه أن تقوم عائشة بحفظ كل الأقوال والأفعال الصادرة من النبي ﷺ في أيامه الأخيرة، والحق الذي لا مراء فيه أن المسلمين قد عرفوا الكثير من أمر نبيهم وأمر دينهم، وأحواله ﷺ عند الاحتضار، من أحاديث عائشة عن زوجها الرسول ﷺ.

---

(١) صحيح البخاري كتاب المرضى برقم ٥٦٦٦ وكتاب الأحكام برقم ٧٢١٧.

(٢) صحيح البخاري كتاب الجنائز برقم ١٣٨٩، كتاب المناقب برقم ٣٧٧٤، كتاب المغازي ٤٤٥٠، كتاب النكاح برقم ٥٢١٧، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٤٤٣.

هـذا واشـتد المـرض بـالنبي ﷺ علـى مـرّ الأيـام حتـى لم يـسعه أن يـصلّي بالنـاس في المسجد وكـانت هنـاك أدعيـة كـان النبي ﷺ إذا مـرض نفـث بهـا علـى نفسه، فكـانت عائشة رضي الله عنها كـذلك تنفـث عليـه بتلـك المعـوّذات والأدعيـة وتمـسح بيـده[١]، وكـان النـاس عكوفاً ينتظرون النبي ﷺ في المسجد لـصلاة العـشاء، فكلمـا ذهـب لينـوء أُغمـى عليـه، فقال:«مروا أبا بكـر فيصلّ بالناس»، قالـت عائشة: يـا رسـول الله إن أبـا بكـر رجـل رقيـق إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه، فلو أمرت غير أبي بكـر، قالت: والله مـا بـي إلا كـراهيـة أن يتـشاءم النـاس بـأول مـن يقـوم في مقـام رسـول الله ﷺ، قالـت: فـراجعتـه مـرتين أو ثلاثـاً، فقال: «ليصلّ بالناس أبو بكـر، فإنكـن صواحب يوسف»[٢].

وكـان ﷺ قد ترك شيئاً مـن الـذهب عنـد عائشة رضي الله عنها قبـل مرضـه الـذي مـات فيـه، فتذكّره في مرضه فقال لعائشة: يا عائشة ما فعلتِ بالـذهب؟ فجـاءت مـا بـين الخمـسة إلى السبعة أو الثمانيـة أو التسعة، فجعل يقلّبهـا بيـده ويقـول: مـا ظـنُّ محمـد بـالله ﷻ لـو لقيـه وهذه عنده، أنفقيها[٣].

وحانـت اللحظـة الأخيرة مـن حيـاة سـيّد المرسـلين ﷺ، وكـانت عائشة رضي الله عنها مـسنِدةً رسـول الله ﷺ، تقـول: دخـل علـيَّ عبـد الـرحمن وبيـده الـسواك، وأنـا مـسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظـر إليـه، وعرفـت أنـه يحـبّ الـسّواك فقالـت: آخـذه لـك؟ فأشـار

---

(١) أشار به المؤلف إلى الحديث الذي رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسـول الله ﷺ كـان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوّذات ومسح عنه بيده، فلما اشتكى وجعه الذي توفّي فيه طفقت أنفث على نفسه بـالمعوّذات الـتي كـان ينفـث، وأمـسح بيـد النبـي ﷺ عنـه «البخـاري في صحيحه كتـاب المغازي برقم ٤٤٣٩، ومسلم في صحيحه كتاب السلام برقم ٢١٩٢، وأبو داود في سننه كتاب الطب برقم ٣٩٠٢، وابن ماجه في سننه كتاب الطب برقم ٣٥٢٩».

(٢) أخرجه البخـاري في صحيحه كتـاب الأذان بـرقم ٦٨٧، والإمـام مـسلم في صحيحه كتـاب الـصلاة برقم ٤١٨. واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/٤٩ بـرقم ٢٤٢٦٨ و ٦/١٨٢ بـرقم ٢٥٥٣١، كمـا أخرجـه ابـن حبّـان في صحيحه ٨/٨ برقم ٣٢١٢، وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/٨٣ برقم ٣٤٣٧١. وصححه الشيخ شعيب.

برأسه أن نعم، فتناولتُه فاشتد عليه، وقلت: أليّنه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فليّنته فأمرّه[١]، وفي رواية: «فاستنّ بها كأحسن ما كان مستناً»[٢].

فكانت عائشة رضي الله عنها تعتز وتفتخر بما نالت من هذه الفضيلة والكرامة وتقول: إن من نعم الله تعالى عليَّ أن رسول الله ﷺ توفّي في بيتي وفي نوبتي وبين سَحْري ونحري، والله جمع بين ريقي وريقه[٣].

فلما ثقل رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه أخذت عائشة رضي الله عنها بيده وذهبت لتقول: أذهب الباس ربَّ الناس واشفِ أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً، قالت: فنزع يده مني ثم قال: «اللهم اغفر لي واجعلني في الرفيق الأعلى»[٤].

وكانت رضي الله عنها تقول: كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول: «إنه لم يُقْبض نبيّ قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخيّر، فلما نزل به ورأسه على فخذي غُشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال: اللهم في الرفيق الأعلى، فقلت: إذاً لا يختارنا، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح»[٥].

ومما لا شك فيه أن من أعظم الفضائل وأعلى السعادة وأهم المناقب للسيدة عائشة رضي الله عنها أن حجرتها الشريفة كانت المسكن الأخير للنبي ﷺ، ومكان دفنه ووفاته.

«فإنا لله وإنا إليه راجعون».

---

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي برقم ٤٤٤٩.

(٢) صحيح البخاري كتاب المغازي برقم ٤٤٥١، ومسند الإمام أحمد ٢٧٤/٦ برقم ٢٦٣٩٠.

(٣) صحيح البخاري كتاب فرض الخمس برقم ٣١٠٠، كتاب المغازي برقم ٤٤٤٩ و ٤٤٥١، وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٤٤٣.

(٤) مسند الإمام أحمد ١٢٦/٦ برقم ٢٤٩٩٠، البخاري نحوه في صحيحه برقم ٤٤٦٣ كتاب المغازي.

(٥) صحيح البخاري كتاب المغازي برقم ٤٤٣٧-٤٤٦٣، ومسلم كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٤٤٤.

رؤيا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

كانت عائشة رضي الله عنها قد رأت في المنام أن ثلاثة أقمار سقطت في حجرتها، قالت: فسألت أبا بكر رضي الله عنه فقال: يا عائشة إنْ تصدق رؤياك، يُدْفَنْ في بيتك خير أهل الأرض ثلاثة، فلما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ودُفن قال لي أبو بكر: يا عائشة هذا خير أقمارك، وهو أحدها[1].

وقد أثبتت الوقائع القادمة أن القمرين الآخرين هما أبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، والآن صارت السيدة عائشة رضي الله عنها أرملة، وقضت من عمرها أربعين عاماً على هذه الحالة، لزمت حجرتها طول حياتها تعزي نفسها بجوار قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم، وما برحت منذ تلك اللحظة تلازم البقعة الخالدة لا تفارقها إلا للعمرة أو الحج أو لزيارة قريبة، واتخذت سكنها في الحجرة المجاورة لقبره، وهي لا تحسب أنها قد فارقت منه غير مشهد جثمانه، فقد كانت تزوره زيارة الأحياء.

كما أنها كانت تزور القبر الشريف من دون حجاب ثلاثة عشرة سنة متوالية إلى أن توفّي عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2]، فلما دفن عمر معهما جعلت بعدها تنتقب وتلبس ملابس الحجاب، وهي تزور أولئك الأصحاب المتجاورين كأنهم على قيد الحياة.

وقد حرّم الله تعالى على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوجن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

قال رجل من سادات قريش: «لو توفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم لتزوجت عائشة»[3] فلما كان هذا الأمر مخالفاً للمصالح الدينية والسياسية، وحطاً من شأن النبوة أنزل الله تعالى قوله: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾[4]. وقوله تعالى قوله: ﴿ وَمَا كَانَ

---

(١) اخرجه الحاكم في المستدرك ٦٢/٣ برقم ٤٤٠٠ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٨٥/٧ و ٣٨/٩، والطبراني في الأوسط ٢٦٦/٦ برقم ٦٣٧٣ وفي الكبير ٤٨/٢٣ برقم ١٢٧، والإمام مالك في الموطأ باب ما جاء في دفن الميت ٢٣٢/١ برقم ٥٤٨.

(٢) انظر: المستدرك للحاكم ٨/٤ برقم ٦٧٢١.

(٣) ذكره الإمام القرطبي في تفسيره ٢٢٨/١٤، والبيهقي في السنن الكبرى ٦٩/٧ برقم ١٣١٩٦.

(٤) سورة الأحزاب الآية «٦».

لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾[1].

والأصل في هذا أن الأزواج المطهّرات اللاتي أكرمهن الله تعالى بصحبة نبيّه الحبيب ﷺ في حله وترحاله، عشن في كنفه حاملات لتعاليمه، حافظات لسننه، وبخاصة سننه عليه الصلاة والسلام في بيته، التي لم يطلع عليها في الأغلب أحد سواهن لم تكن بقايا حياتهن إلا لكي يقمن بواجب نشر وإشاعة الدروس والتعليمات التي تلقّينها من الحبيب المصطفى الزوج المبارك المعظّم طول حياتهن، وألا يصرفن شيئاً من حياتهن إلا في تأدية هذا الواجب، كن أمهات المؤمنين، فكانت مسؤوليتهن تعليم أبنائهن وتربيتهم، وكن المرجع الأول فيما حفظ عندهن من آي القرآن، وما حفظنه من السنن والأحاديث، حتى كانت بيوتهن مثابة الزوار من أبنائها وبناتها.

يقول الله ﷻ:

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[2].

---

(١) سورة الأحزاب الآية «٥٣».

(٢) سورة الأحزاب الآية «٣٠- ٣٤».

وفاة أم المؤمين عائشة رضي الله عنها

توفيت عائشة رضي الله عنها في نهاية خلافة معاوية رضي الله عنه. وكانت قد بلغت من العمر سبعاً وستين سنة، ومرضت في شهر رمضان المبارك سنة ثمان وخمسين من الهجرة، فإذا سُئلت: كيف أصبحت؟ قالت: صالحة الحمد لله[١]، وكل من يعودها يبشرها فتردّ عليه قائلة: يا ليتني حجراً، ياليتني كنت مدرة[٢].

واستأذن عليها ابن عباس رضي الله عنهما في مرضها فأبت أن تأذن له، فقال لها بنو أخيها: ائذني له، فإنه من خير ولدك، قالت: دعوني من تزكيته، فلم يزالوا بها حتى أذنت له، فلما دخل عليها قال: إنما سُمِّيتِ أم المؤمنين لتسعدي، وإنه لاسمك قبل أن تولدي، إنك كنت من أحب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إليه، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب إلا طيِّباً، وما بينكِ وبين أن تلقَيْ الأحبة إلا أن تفارق الروحُ الجسد، ولقد سقطت قلادتك ليلة الأبواء، فجعل الله للمسلمين خيرة في ذلك، فأنزل الله تبارك وتعالى آي التيّمم، ونزلت فيك آيات من القرآن، فليس مسجد من مساجد المسلمين إلا يُتلى فيه عُذرك آناء الليل وآناء النهار، فقالت: دعني من تزكيتك لي يا ابن عباس، فوددت أني كنت نسياً منسياً[٣].

وقالت عند وفاتها: «لا تدفِنِّي معهم وادفني مع صواحبي بالبقيع، لا أزكَّى به أبداً»[٤]، وفي رواية ابن سعد: «إني قد أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فادفنوني مع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم»[٥] كما أمرت أن تُدفن من ليلتها.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧٥/٨.

(٢) الطبقات الكبرى ٧٤/٨. والمدرة: الطين.

(٣) أخرج الجزء الأول من الحديث الإمام البخاري في صحيحه كتاب المناقب برقم ٣٧٧١ وكذلك في تفسير القرآن من سورة النور.

وقد أخرجه كاملاً الحاكم في المستدرك ٩/٤ برقم ٦٧٢٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الذهبي، والإمام أحمد في مسنده ٢٢٠/١ رقم ١٩٠٥. وقال الشيخ شعيب: إسناده قوي على شرط مسلم.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز برقم ١٣٩١ وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة برقم ٧٣٢٧.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ٧/٤ برقم ٦٧١٧، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وابن سعد في الطبقات الكبرى ٧٤/٨.

وأخرج الإمام محمد في «الموطأ» قيل لعائشة رضي الله عنها: لو دُفنت معهم؟ قال: قالت: «إني إذاً لأنا المبتدأة بعملي»[١].

وكل هذا أيها القارئ الكريم يدل دلالة صريحة على غضها من نفسها وازدرائها لعملها وشدة ورعها رضي الله عنها وأرضاها.

وتوفيت رضي الله عنها سنة ثمان وخمسين، ليلة سبع عشرة من شهر رمضان بعد الوتر، الموافق يونيو عام ٦٧٨م، فاجتمع الناس وحضروا فلم تُر ليلة أكثر ناساً منها.

عن عثمان بن أبي عتيق عن أبيه قال: «رأيت ليلة ماتت عائشة وحمل معها جريد في الخرق فيه النار ليلاً، ورأيت النساء بالبقيع كأنه عيد»[٢] وسمعت أم سلمة رضي الله عنها الصرخة فقالت لجارية: اذهبي فانظري، فقالت: وجبت، فقالت أم سلمة: والذي نفسي بيده لقد كانت أحب الناس إلى رسول الله ﷺ إلا أباها[٣]، وفي رواية الطيالسي: سمعت أم سلمة الصرخة على عائشة فأرسلت جاريتها: انظري ماذا صنعت؟ فجاءت فقالت: قد قضت، فقالت: يرحمها الله، والذي نفسي بيده لقد كانت أحب الناس كلهم إلى رسول الله ﷺ إلا أباها[٤]. وكان أبو هريرة رضي الله عنه والي المدينة بالنيابة فصلىَّ على عائشة رضي الله عنها، ونزّلها في القبر كل مِن القاسم بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عتيق، وعروة بن الزبير، وعبد الله بن الزبير، ودُفنت بالبقيع[٥]، وقامت القيامة في المدينة المنورة لأفول شمعة من شموع المدينة. يقول مسروق «التابعي الجليل»: لولا بعض الأمر لأقمت المناحة على أم المؤمنين[٦].

---

(١) موطأ الإمام محمد برقم ٩٧٣ باب النوادر ص ٣١١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧٧/٨.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٥/٤ برقم ٦٧٤٦.

(٤) أخرجه الطيالسي في مسنده ٢٢٤/١.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧٧/٨.

(٦) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧٧/٨.

سُئل رجل من أهل المدينة كيف كان وَجْدُ الناس على عائشة؟ فقال: كان فيهم وكان، قال: إنه لا يحزن عليها إلا من كانت أمه[1].

وقد تركت عائشة رضي الله عنها مما تركت غابة[2]، فورثتها أختها أسماء رضي الله عنها ثم اشتراها منها معاوية رضي الله عنه بمئة ألف درهم، فوزّعتها أسماء في القاسم بن محمد وابن أبي عتيق[3].



(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/٧٥.

(٢) الغابة: مجتمع الشجر والماء.

(٣) صحيح البخاري ترجمة الباب.

الخاتمة

بعد أن ارتشفنا من عبق السيرة العطرة لأم المؤمنين وزوج سيد المرسلين ﷺ وابنة صِدِّيق الأمة والتي دللت للتاريخ أن المرأة من الممكن أن تكون مدرسة متكاملة للأخلاق والعلم كما سلف من سيرتها رضي الله عنها .

لعلنا في ذلك نحيي في بناتنا أنموذجاً رائعاً للتأسي والاقتداء بأهل بيت النبي ﷺ علماً وعملاً ينفعنا الله وإياكم بما في هذا الكتاب ولما فيه نصرة دين الله تعالى.



